سلسلة (تيسير العلم على الطلاب بطريقة السؤال والجواب)

شَرْحُ الثَّلَاثَةِ الأُصُول

فِي

سُؤَالٍ وَجَوَاب

أكثر مِنْ مِأتِين وخمسين (٢٥٠) سؤالًا وجوابًا

جمع وترتيب

عِمَادُالدِّين أَبُوالنَّجَا

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ دَعَا لَهُم وَلِلمُسْلِمِين

بسم الله الرحمن الرحيم

شُكـــر

انطلاقًا من قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ " [1] فإنني أشكره سبحانه – ؛ استجابة لأمره إذ قال – تعالى – : (أَنِ اشْكُرْ لِي) (لقمان / ١٤) كما أشكره – سبحانه – أن هدانا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ .

وبعد شكره – سبحانه – فإنني أشكر رسولَه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الذي علّمني وعلّم الأمة بأسرها فكان المعلِّم الأول للأمة . كيف لا وقد تولّى ربُّه تعليمه ، قال – سبحانه وتعالى – مخاطبًا إياه :

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (النساء / ١١٣) ، فكان – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أعلم العلماء وأحكم الحكماء ، ولمّا علّمه ربُّه أمره بالبلاغ فقَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة / ٦٧) ، قال الشيخ السعدي – يرحمه الله تعالى – عند تفسير هذه الآية : " هذا أمر من الله لرسوله محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بأعظم الأوامر وأجلها ، وهو : التبليغ لما أنزل الله إليه ، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من العقائد والأعمال والأقوال ، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية إنما كان بتبليغه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إياه فبلَّغ أكمل تبليغ ، ودعا وأنذر ، وبشَّر ويسَّر ، وعلَّم الجهال الأمّيين حتى صاروا من العلماء الربانيين ، وبلَّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله . فلم يبق خير إلا دلَّ أمته عليه ورغبها فيه ، ولا شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه ، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة ، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين ، ومن هنا يجب الإيمان بأن الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح للأمة " .

وبعد شكر الله – عزّ وجلّ – وشكر رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإنني :

أولًا : أشكر علماءنا ومشايخنا الذين لهم الفضل بعد الله في تعليمنا وتأديبنا .

ثانيًا : أشكر والداي ففضائلهما عليَّ تترا قال – تعالى – : (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) (لقمان / ١٤) .

ثالثًا : أشكر كل من ضحَّى أو تنازل عن حق من حقوقه من أجل إتاحة الوقت لي لإنجاز هذا العمل من زوجة و أولاد ومن لهم حق عليَّ .

رابعًا : أشكر إخواني وتلامذتي وكل من ساهم في خروج هذا العمل من كتابة وطباعة وتنسيق وكذا نصح وتوجيه.

خامسًا : القراء وكل من سيقدِّم لي نقدًا بناءً ونصيحة لله أو توجيهًا أو إرشادًا أو تصويب أخطاء أو أيَّ شئ من شأنه إخراج هذا العمل في أفضل صورة ليعمَّ النفع به كل الناس .

---

(١) قال عنه الشيخ الألباني : " صحيح " (يُنظر : صحيح الجامع /ح٦٥٤١) طبعة المكتب الإسلامي ، (صحيح الترمذي / ١٩٥٥) .

مقـــدمـــــة

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَ نَسْتَعِينُهُ ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِىَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران / ١٠٢) .
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)) (النساء) .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)) (الأحزاب) .

أما بعد

فإن منزلة علم التوحيد عظيمة ، ولذلك يقول الإمام ابن القيم – يرحمه الله – تعالى : " إن شرف العلم يدل على شرف المعلوم " ونحن بتوحيد الله تعالى ماذا نتعلم منه ؟ نتعرف على الرب سبحانه وتعالى ، وعلى أسمائه ، وعلى ما يجب علينا ، وشرف العلم بشرف المعلوم مادام معلقًا بالرب ، فالله له المنازل العليا سبحانه وتعالى في قلوب أهل الإيمان والصلاح والتقوى ، وكان تعلم علم التوحيد أفضل العلوم على الإطلاق ، كيف لا وقد دلت عليه النصوص الكثيرة .
فنقول : مما يدل على شرف هذا العلم :
أولًا : أنه أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما من نبي إلا قال لقومه : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (المؤمنون / ٢٣) (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) (الأعراف / ٨٥) (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف / ٧٣) . وأنه وظيفة الرسل وأتباعهم ، ومن لم يدع إليه فليس من أتباع الرسل ولا من الفرقة الناجية الذين هم على ما عليه النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأصحابه ؟ ثم إنه أول واجب على المكلف ، فأول ما يجب على المكلف هو توحيد الله تعالى ، بل هو أول ما يدخل به الإنسان إلى الإسلام ، فلا يدخل الإنسان إلى الإسلام إلا بتوحيد الله تعالى ، ولذلك نقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ويقول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) (خ / ٣٩٢) بدأ بقضية التوحيد ، مما يدل على عظم منزلته ، وأنه أول ما يدخل به الإنسان إلى الإسلام .
قالوا : إنه أول منازل الطريق والسير إلى الله تعالى ، ومن سار إلى الله بغير توحيد فلن يعرف الطريق ولم يسر إلى الله حق السير .

ثانيًا : ومن منزلة التوحيد كذلك : أنه الحياة لكل إنسان ، ولا حياة للمسلم أبدًا إلا بتوحيد الله تعالى ، والله قد ذكره في كتابه : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) (الأنعام / ١٢٢) أي حياة تلك إلا بوقور لا إله إلا الله في قلبه ، والعمل بمقتضاه ، مما يدل على أن للتوحيد منازل عليا .

ثالثًا : ومن منزلة التوحيد : أنه جعل نورًا يضيء القلوب (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ) (الشورى / ٥٢) وأعظم ما يُهدى إليه الإنسان وينور قلبه به هو توحيد الله تعالى ، ولذلك تعتبر قلوب أهل الكفر والشرك مظلمة ، أما قلوب أهل الإيمان والتوحيد فهي مضاءة أشد من ضوء الشمس ؛ لأنهم يبصرون بتوحيد الله تعالى ، ويحصل لهم السعادة في الدنيا والآخرة .

رابعًا : ومن منزلة التوحيد : أن الإنسان لا يستغني عنه طرفة عين ، وسبحان ربي ! إن الإنسان ليتأمل الصلوات ، يصلي الفجر وليس علينا صلاة بعدها إلا وقت الظهر وهكذا ، والصيام يمر في العام مرة ، والحج وهكذا العبادات ، لكن توحيد الله لا نستغني عنه طرفة عين ، فما نقول : هذا الوقت ليس عندنا توحيد فيه ولا نحتاج إليه أبدًا ، بل يصبح التوحيد مع الإنسان منذ أن يدخل في دين الله تعالى إلى أن يودع هذه الدنيا وتوحيد الله معه كاملًا .

خامسًا : ومن منزلة التوحيد : أنه آخر ما يودع به الإنسان الدنيا ، ولقد ورد عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال : (مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) (صحيح أبي داود / ٣١١٦) دل على أن بدايتك توحيد ونهايتك توحيد ، بل كل أجزاء حياتك هي توحيدٌ لله تعالى ، وأعظم دليل على ذلك قول الله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ) (الأنعام / ١٦٢– ١٦٣) حياتك كلها لله ، وهكذا وفاتك يجب أن تكون لله ؛ ليصبح الإنسان جل وقته وحياته هو لله تعالى .

سادسًا : قيل : إن التوحيد من منزلته أنه شفاء ، كم نجد ممن دخل في دين الله تعالى كان التوحيد شفاء لقلوبهم ، نسمع من كثير ممن أسلم سبب توحيده أنه لم يجد في عقائده التي كان عليها شفاء لما في قلبه ، ولا إجابة لأسئلة ملحة عليه إلا في توحيد الله تعالى ، فالحمد لله على هذا التوحيد ، ونسأل الله أن يتوفانا على هذا التوحيد الذي لا نتجاوزه طرفة عين ، بل يختم لنا بكلمة لا إله إلا الله .

يقول السلف ، وذكرها ابن القيم ، وتكلم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمهما الله تعالى – : إن القرآن كله توحيد ، وما من جزئية منه تخرج عن توحيد الله تعالى .

قالوا : فإن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه ، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة الله تعالى ، وتعتبر تلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرام الله تعالى لأوليائه ولأهل توحيده ، وما يفعل الله بهم في الدنيا والآخرة ، وإما خبر عن أهل الشرك ، وما يكون لهم في الدنيا وفي الآخرة من المعيشة الضنك ، ومن العذاب في الدنيا والآخرة ، وهذا يعتبر جزاءً لإعراضهم عن توحيد الله تعالى ،

ولذلك قال سلف الأمة – يرحمهم الله تعالى – : ليس في القرآن شيء ليس مرتبطًا بتوحيد الله ، مما يدل على أهمية التوحيد والتركيز عليه .

ثم إني أقول : كم نجد من بعض الكتاب المعاصرين يقولون : أشغلتم الناس بهذه القضايا ، وفرقتم الأمة بسبب قضية التوحيد .

نقول : لسنا نحن الذين جئنا بهذا المنهج ، هو منهج الله ومنهج رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ولقد فرق الأنبياء بين أبنائهم وبين أنفسهم ، وبين أزواجهم وأنفسهم ، وجُعل منهجًا التفريق على قضية التوحيد ، والوزن بتوحيد الله تعالى ، وكلما قرب الإنسان من توحيد الله كانت له المنازل العليا عند الله ، وفي دين الإسلام وعند أوليائه ، وكلما ابتعد عن توحيد الله ؛ ابتعد عن المنهج ، ولم يكن على ضوء ما كان عليه سلف الأمة .

وإني أقول للأحبة : إننا لفي حاجة إلى نشر عقيدة السلف الصالح ، وبيانها للناس ، وتوضيحها وتبصير الناس بها ، وغرسها في نفوسهم ؛ لأنها أصبحت غريبة في المجتمعات الإسلامية .

انطلق إلى كثير من المجتمعات تجد القبور قد ضربت أطنابها ، عليها القبب ، والناس يطوفون حولها ، وتجعل لها مزارات ، وتعتبر من المتاحف السياحية ، يتوجه الناس إليها ، ويرجون بركتها ويدعونها من دون الله ، وأصبح كثير من المسلمين يحلفون بغير الله ويدعون غير الله ، ويعلقون التمائم ، ويحصل عندهم من المعالم التي ترى بعضها موصلة إلى الشرك بعينه ، ومع ذلك يقول بعض الدعاة : لا تفرقوا الناس على توحيد الله ، بل اجمعوهم وإن كانوا على ما كانوا عليه من المعتقد .

نقول : لا ، نحن ننصح ونُوَجِّه ، وندل الناس على عقيدة سلف الأمة ، وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، نشلاً لهم من هذه الأمراض ، والانحرافات ، التي نسأل الله أن يرد المسلمين إلى عقيدة أهل السنة ردًا جميلاً ، وأن يبصرهم بمعتقد سلف الأمة ، وأن ينفع بهم .

ومما يوضح أهمية التوحيد وأهمية تحقيق التوحيد [١] ما يلي :

١ – أن تحقيق التوحيد هو الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الجن والإنس ، لأهميته ومكانته وعظم شأنه ، والدليل قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات / ٥٦) .

٢ – أن تحقيق التوحيد هو الغاية التي من أجلها بعث الله الأنبياء والرسل ، ولذا اتفقت جميع الرسل به والأنبياء ، جاء به كل رسول ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل / ٣٦) .

٣ – أن جميع الأعمال من صلاة وصيام وجهاد متوقف قبولها على تحقيق أصل التوحيد ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام / ٨٨) .

٤ – أن التوحيد هو أول أمر يُسأل عنه الإنسان في قبره ، والدليل ما جاء عند أبي داوود (٤٧٥٣) وغيره

---

(١) تحقيق التوحيد : تحقيقه : تخليصه من شوائب الشرك الأصغر والأكبر ، وتحقيق التوحيد لا يكون إلا باجتناب الشرك بالمعنى الأعم .

وفيه : " وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ " والمقصود بقول الملكين " مَنْ رَبُّكَ " أي من معبودك ، فالسؤال هنا عن توحيد العبادة لأن الناس لا يُمتحنون على توحيد الربوبية إذ إن إبليس وهو أكفر المخلوقات الكافرة يقر بتوحيد الربوبية .

٥ – ومن أهميته أنه فرض على الناس فأصبح فرضًا عينيًا لازمًا .

٦ – وهو حق الله اللازم .

٧ – وقضى الله به وجعله أمرًا مقضيًا شرعًا .

٨ – أن القرآن كله يدعو إلى تحقيق التوحيد ولوازمه ، ووجه ذلك أن آيات القرآن إما أن تأتي صريحة في الدعوة إلى التوحيد مباشرة كما في قوله تعالى : (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (غافر / ١٤) ونحو ذلك ، أو أن تنهى عن الشرك كما في قوله تعالى : (وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ) (يونس / ١٠٦) والنهي عن الشيء أمر بضده ، وإما أن تأمر الآيات بفعل الطاعات مثل الصلاة والصوم والزكاة ونحوه ، أو تنهى عن فعل المحرمات مثل الزنا والسرقة ونحوه ، وفعل الطاعات وترك المحرمات من لوازم التوحيد ومكملاته ، وإما أن تأتي الآيات مبينة ما أعده الله من الجنات والنعيم وما أعده الله من النار والعذاب الأليم ، فهذا فيه جزاء الموحدين الذين حققوا التوحيد ، وجزاء المخالفين المشركين الذين أعرضوا عن توحيد الله وبهذا يتبين لنا أن القرآن كله من الدفّة إلى الدفّة يدعو إلى التوحيد ولوازمه .

وإذا نظرت إلى هذه الأمور السابقة أتضح لك فعلا مكانة التوحيد وأهميته وأن هذه الأمور السابقة جاءت من أجله . فالتوحيد هو بمثابة الأساس من البنيان قال ابن القيم – يرحمه الله –

فصل من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به :

فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان ومتى كان الأساس وثيقًا حمل البنيان واعتلى عليه وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس فلا يلبث بنيانه أن يسقط قال تعالى : (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة / ١٠٩) فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان فإذا كانت القوة قوية حملت البدن ودفعت عنه كثيرًا من الآفات وإذا كانت القوة ضعيفة ضعف حملها للبدن وكانت الآفات إليه أسرع شيء ، فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان فإذا تشعث شيء من أعالي البناء وسطحه كان تداركه أسهل عليك من خراب الأساس .

ثم قال – يرحمه الله – : وهذا الأساس أمران : ١ – صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته .

٢ – تجريد الانقياد له ولرسوله دون ما سواه فهذا أوثق أساس أسس العبد عليه بنيانه وبحسبه يعتلى البناء ما شاء فأحكم الأساس واحفظ القوة ودم على الحمية واستفرغ إذا زاد بك الخلط والقصد القصد وقد بلغت المراد وإلا فما دامت القوة ضعيفة والمادة الفاسدة موجودة والاستفراغ معدومًا

فَاقْرَ السَّلاَمَ عَلَى الْحَياةِ فَإنَّها..... قَدْ آذَنَتْكَ بسُرعةِ التوديْعِ

ا. هـ . الفوائد (صـ ٢٠٤) .

وقال الإمام ابن القيّم – يرحمه الله – : (التوحيد أشفُّ شيء وأنزهه ، وأنصعه وأصفاه وأدنى شيء يخدشه ويدنسه ويؤثّر فيه ، فهو كأبيض ثوب يكون ، يؤثّر فيه أدنى أثر ، وكالمرآة الصافية جدًّا ، أدنى شيء يؤثّر فيها ، ولهذا تشوهه اللحظة واللفظة والشهوة الخفيّة) (الفوائد لابن القيم / ٤٢) .

ومن أهمية التوحيد أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان يشيد بالتوحيد تعظيمًا لشأنه واهتمامًا به حتى وهو في مرض الموت حيث قال : " لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " (خ / ١٣٩٠ ، م / ١٢١٢) والمرء مهما بلغ من العلم يظل مُحتاجًا إلى التوحيد ومعرفته ، والدليل أيضًا على أهمية التوحيد أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – دعا إليه عشر سنين ، وذلك قبل أن تفرض عليه الفرائض تعظيمًا لشأنه ؛ ولأن الله لا يقبل الأعمال إلا به ، والتوحيد هو فاتحة القرآن العظيم وهو خاتمته فهو فاتحة القرآن كما في أول سورة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وهو في خاتمة القرآن العظيم (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) .

قال شيخ الإسلام : وجماع الدين أصلان أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع ، لا نعبده بالبدع كما قال تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف / ١١٠) وذلك تحقيق الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله ، إذن للعبادة شرطان ، الإخلاص والمتابعة .

ومن أهمية التوحيد أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كان يشيد بالتوحيد تعظيمًا لشأنه واهتمامًا به حتى وهو في مرض الموت حيث قال : " لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " (خ / ١٣٩٠ ، م / ١٢١٢) .

بعض فضائل التوحيد المذكورة في القرآن الكريم :

١ – ضمان دخول الجنة لمن حقق التوحيد ، والدليل قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِين ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) (البقرة / ٢٥) ، فقوله تعالى (الَّذِين ءَامَنُواْ) أي الذين حققوا التوحيد .

٢ – حصول الأمن والهداية ، والدليل قوله تعالى : (الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) (الأنعام / ٨٢) ، وقوله تعالى : (وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (الحج / ٥٤) ، وقوله تعالى : (فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (البقرة / ٢١٣)

٣ – الثبات في الدنيا والآخرة ، والدليل قوله تعالى : (يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (إبراهيم / ٢٧) .

٤ – تكفير السيئات ، والدليل قوله تعالى : (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (العنكبوت / ٧) ، وقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (المائدة / ٦٥) .

٥ – الاستخلاف والتمكين في الأرض ، والدليل قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور / ٥٥) .

٦ – ولاية الله تعالى للموحدين ، والدليل قوله : (اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ) (البقرة / ٢٥٧) .

٧ – سعة الرزق ، والدليل قوله تعالى : (فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الحج / ٥٠) ، وقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) (الأعراف / ٩٦) .

٨ – مدافعة الله تعالى عن الموحدين ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (الحج / ٣٨) .

٩ – وعد الله الموحدين بالنصر على الأعداء والعزة والرفعة ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر / ٥١) ، وقوله تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم / ٤٧) أي الموحدين ، وقوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون / ٨) ، وقوله تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة / ١١) .

١٠ – تأييد الله تعالى للموحدين ، والدليل قوله تعالى : (فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) (الصف / ١٤) .

١١ – الحياة الطيبة ، والدليل قوله : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (النحل / ٩٧) .

١٢ – النجاة من مكاره الدنيا والآخرة ، الدليل قوله تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) (يونس / ١٠٣) .

١٣ – ليس للشيطان سلطان على الموحدين ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (النحل / ٩٩) .

١٤ – يقذف الله في قلوب الخلق محبة الموحدين ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) (مريم / ٩٦) .

١٥ – استغفار الملائكة للموحدين ، والدليل قوله تعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) (غافر / ٧) .

١٦ – الموحدون هم خير البرية ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (البينة / ٧) .

١٧ – رحمة الله الخاصة يفوز بها الموحدون ، والدليل قوله تعالى : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب / ٤٣) .

١٨ – حصول السكون والطمأنينة للموحدين عند المصائب التي تفزع القلوب وتشوش الألباب ، والدليل قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح / ٤) .

قال الشيخ / صالح الفوزان في أهمية التوحيد في القرآن الكريم :

التوحيد هو الأصل الذي بنيت عليه الملة الحنيفية ؛ فالاهتمام به اهتمام بالأصل ، وإذا تدبرنا القرآن الكريم وجدنا أنه بيَّن التوحيد تبيانًا كاملاً ، حتى إنه لا تخلو سورة من سور القرآن إلا وفيها تناول للتوحيد ، وبيان له ونهى عن ضده . وقد قرر الإمام ابن القيم – يرحمه الله – أن القرآن كله في التوحيد ؛ لأنه :

– إما إخبار عن الله وأسمائه وصفاته ، وهذا هو التوحيد العلمي الذي هو توحيد الربوبية .

– وإما أمر بعبادة الله وحده لا شريك له ونهي عن الشرك ، وهذا هو التوحيد العملي الطلبي ، وهو توحيد الألوهية .

– وإما أمر بطاعة الله وطاعة رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ونهي عن معصية الله ومعصية رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته .

– وإما إخبار عما أعد الله للموحدين من النعيم والفوز والنجاة والنصر في الدنيا والآخرة ، أو إخبار عما حل بالمشركين من النكال في الدنيا والآخرة ، أو إخبار عما حل بالمشركين من النكال في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة من العذاب الدائم والخلود المؤبد في جهنم ، وهذا فيمن حقق التوحيد ، وفيمن أهمل التوحيد .

(مدارج السالكين / ٤٦٨ / ٣ بتصرف) .

إذن فالقرآن كله يدور على التوحيد . وأنت إذا تأملت السور المكية تجد غالبها في التوحيد ؛ لأن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك . ما نزلت عليه أغلب الفرائض من زكاة وصيام وحج وغير ذلك من أمور الحلال والحرام ، وأمور المعاملات ، ما نزل هذا إلا بعد الهجرة في المدينة . إلا الصلاة فقد فرضت عليه في مكة ليلة المعراج حين أسري به – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ولكن كان هذا قبيل الهجرة بقليل .

ولذلك كان غالب السور المكية التي نزلت على النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قبل الهجرة ، كلها في قضايا التوحيد ، مما يدل على أهميته ، وأن الفرائض لم تنزل إلا بعد أن تقرر التوحيد ، ورسخ في النفوس ، وبانت العقيدة الصحيحة ؛ لأن الأعمال لا تصح إلا بالتوحيد ، ولا تؤسس إلا على التوحيد .

وقد أوضح القرآن أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أول ما يبدءون دعوتهم بالدعوة إلى التوحيد قبل كل شيء ، قال تعالى : (ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل / ٣٦) ، وقال تعالى : (ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي إلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون) (الأنبياء / ٢٥) ، وكل نبي يقول لقومه : (يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف / ٥٩) ، ها هو شأن الرسل البُداءةُ بالتوحيد .

وكذلك أتباع الرسل من الدعاة والمصلحين أول ما يهتمون بالتوحيد ؛ لأن كل دعوة لا تقوم على التوحيد فإنها دعوة فاشلة ، لا تحقق أهدافها ، ولا تكون لها نتيجة . كل دعوة تهمش التوحيد ولا تهتم به ؛ فإنها تكون دعوة خاسرة في نتائجها . وهذا شيء مشاهد ومعروف .

وكل دعوة تركز على التوحيد ؛ فإنها تنجح بإذن الله وتثمر وتفيد المجتمع ، كما هو معروف من قضايا التاريخ .

ونحن لا نهمل قضايا المسلمين بل نهتم بها ، ونناصرهم ونحاول كف الأذى عنهم بكل وسيلة ، وليس من السهل علينا أن المسلمين يقتلون ويشردون ، ولكن ليس الاهتمام بقضايا المسلمين أننا نبكي ونتباكى ، ونملأ الدنيا بالكلام والكتابة ، والصياح والعويل ؛ فإن هذا لا يجدي شيئًا .

لكن العلاج الصحيح لقضايا المسلمين ، أن نبحث أولاً عن الأسباب التى أوجبت هذه العقوبات التي حلت بالمسلمين ، وسلطت عليهم عدوهم .

– ما السبب في تسليط الأعداء على المسلمين ؟

حينما ننظر في العالم الإسلامي ، لا نجد عند أكثر المنتسبين إلى الإسلام تمسكًا بالإسلام ، إلا من رحم الله ، إنما هم مسلمون بالاسم ؛ فالعقيدة عند أكثرهم ضائعة : يعبدون غير الله ، يتعلقون بالأولياء والصالحين ، والقبور والأضرحة ، ولا يقيمون الصلاة ، ولا يؤتون الزكاة ، ولا يصومون ، ولا يقومون بما أوجب الله عليهم ، ومن ذلك إعداد القوة لجهاد الكفار ! ! هذا حال كثير من المنتسبين إلى الإسلام ، ضيعوا دينهم فأضاعهم الله عز وجل .

وأهم الأسباب التي أوقعت بهم هذه العقوبات هو إهمالهم للتوحيد ، ووقوعهم في الشرك الأكبر ، ولا يتناهون عنه ولا ينكرونه ! من لا يفعله منهم فإنه لا ينكره ؛ بل لا يعده شركًا . فهذه أهم الأسباب التي أحلت بالمسلمين هذه العقوبات . ولو أنهم تمسكوا بدينهم ، وأقاموا توحيدهم وعقيدتهم على الكتاب والسنة ، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولم يتفرقوا لما حل بهم ما حل ؛ قال الله تعالى : (ولَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ وأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوْا عَنِ المُنكَرِ ولِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) (الحج / ٤٠ – ٤١) ، فبين أنه لا يحصل النصر للمسلمين إلا بهذه الركائز التي ذكرها الله سبحانه وتعالى وهي : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأين هذه الأمور في واقع المسلمين اليوم ؟ أين الصلاة عند كثير ممن يدَّعون الإسلام ؟ !

وقال تعالى : (وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوفِهِمْ أَمْنًا) لكن أين الشرط لهذا الوعد ؟

(يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) (النور / ٥٥) ، فبين أن هذا الاستخلاف وهذا التمكين لا يتحقق إلا بتحقق شرطه الذي ذكره وهو عبادته وحده لا شريك له ، وهذا هو التوحيد ، فلا تحصل هذه الوعود الكريمة إلا لمن حقق التوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له ، وعبادة الله تدخل فيها الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وجميع الطاعات .

ولم يقل سبحانه : يعبدونني فقط بل أعقب ذلك بقوله : (لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) ؛ لأن العبادة لا تنفع مع وجود الشرك ، بل لا بد من اجتناب الشرك أيًّا كان نوعه ، وأيًّا كان شكله ، وأيًّا كان اسمه . وهو : " صرف شيء من العبادة لغير الله عز وجل " .

هذا هو سبب النجاة والسلامة والنصر والتمكين في الأرض ، صلاح العقيدة وصلاح العمل . وبدون ذلك فإن العقوبات والنكبات ، و المثلات قد تحل بمن أخل بشيء مما ذكره الله من القيام بهذا الشرط ، وهذه النكبات ، وهذا التسلط من الأعداء سببه إخلال المسلمين بهذا الشرط وتفريطهم في عقيدتهم ودينهم ، واكتفاؤهم بالتسمي بالإسلام فقط .

وبما أن العلم – كما هو مقرر لدى كثير من العلماء التربويين – له أصوله وقواعده فلا يقوم أساسه إلا بتلك القواعد ، ولا يعتبر تفريعه إلا عن تلك الأصول ، قال الماوردي في (أدب الدنيا و الدين (٥٥)) : (اعلم أن للعلوم أوائل تُؤَدِّي إلى أواخرها ، و مداخل تُفْضِي إلى حقائقها ، فليبدأ طالب بأوائلها لينتهي إلى أواخرها ، و بمداخلها ليُفضي إلى حقائقها ، و لا يطلب الآخر قبل الأول ، و لا الحقيقة قبل المقصد ، فلا يدرك الآخر و لا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أُسٍ لا يُبْنَى ، و الثمر من غير غرس لا يُجْنى) .

فأصول العلم و قواعده التي تعارف عليها العلماء هي تلك الكتب الصغار المسماة بالمتون ، فمن حازها حاز الفنون ، و من أدركها أدرك علمًا غزيرًا ، لذا كان لزامًا أن نتدرج في دراسة علم التوحيد .

و التدرج في طلب العلم ، ثلاثة أنواع :

الأول : تدرج في الفنون ، فيبدأ الطالب بالفن الأهم قبل المهم ك (العقيدة) قبل (الفقه) .

الثاني : تدرج في المتون ، فيبدأ بالمتون الصغار قبل الكبار ، و ليحذر الدخول من الظهور .

الثالث : تدرج في دراسة المتن ، فلا يبدأ بدراسة المتن دراسة توسعٍ و بحث و هو ما زال في أوائل طريق الطلب لا يعرف أصول الفن و مقاصده .

ففي العَقيدة يشرع بحفظ : – متن الثلاثة الأصول / لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – يرحمه الله – فقد بَيَّنَ فيه – : ما يجب تعلُّمه على كل مسلم ومسلمة ؛ من أصول العلم ومهمات المسائل . فلا يَسَعُ مسلمًا جَهْلُ ما في هذا المتن .

لماذا ثلاثة الأصول ؟

إن " ثلاثة الأصول " للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – يرحمه الله – ، من أنفع المتون المؤلفة في أصول الدين ، وقد تلقاها طلبة العلم والعامة بالحفظ والمدارسة ، لكونها قاعدة في العقيدة ، ولقد وهب الله عز وجل الإمام العلامة محمد بن عبد الوهاب – يرحمه الله – حسن التصنيف ، ودقة الترتيب ، وقوة الاستدلال مع جزالة اللفظ وجمال البيان ، وقد جاءت ثلاثة الأصول شاملة لذلك ، قال عنها حفيد المصنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن – يرحمه الله – : " فما أعظم نفعها على اختصارها لطالب الهدى " . ففيها الأصول الواجب على الإنسان معرفتها ، من معرفة العبد ربه ، وأنواع العبادة التي أمر الله بها ، ومعرفة العبد دينه ، ومراتب الدين ، وأركان كل مرتبة ، ومعرفة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في نبذة من حياته ، والحكمة من بعثته ، والإيمان بالبعث والنشور ، وركنا التوحيد وهما الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، ولكونها قاعدة في العقيدة فقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب – يرحمه الله – يلقنها الطلبة والعامة ، وقال الشيخ عبد العزيز بن باز – يرحمه الله – : " وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب – يرحمه الله – : يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ، ليدرسوها ويحفظوها ، ولتستقر في قلوبهم ، لكونها قاعدة في العقيدة " ، وكانت تقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم – يرحمه الله – ويشرحها كل يوم ، وقد صُدِّرت ثلاثة الأصول بثلاث رسائل نافعة عظيمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب – يرحمه الله – هي قواعد في الدين :

الأولى : منها في وجوب العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه .

والثانية : في توحيد الربوبية ، والألوهية ، والولاء والبراء .

والثالثة : في بيان التوحيد وضده .

وبذلك جاءت ثلاثة الأصول مع ما صدّرت به من الرسائل مكتملة العقد في أصول الدين ، ودرة مضيئة للعابدين الموحدين ، قال عنها الشيخ عبد العزيز بن باز – يرحمه الله – : " هذه رسالة مهمة في العقيدة " .

ولأهميتها وغزير نفعها وحاجة المسلم إليها كان العلماء يحثون الولاة لإلزام الناس بتعلمها وفهمها ، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – يرحمه الله – : " فيلزم الأمير أن يأمر جميع المدرسين وأئمة المساجد ، بالحضور عند من يعلمهم دينهم ، ويلزمهم القراءة فيما جمعه شيخنا – يرحمه الله – في كتاب التوحيد ، من أدلة الكتاب والسنة التي فيها الفرقان بين الحق والباطل ، فقد جمع على اختصاره خيرًا كثيرًا ، وضمنه من أدلة التوحيد ما يكفي مَنْ وفقه الله ، وبين فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله ، ويلزمهم سؤال العامة عن أصول الدين الثلاثة بأدلتها ، وأربع القواعد " . وكتب الشيخ محمد بن إبراهيم – يرحمه الله – لأئمة المساجد آمرًا لهم تعليم جماعة المسجد ثلاثة الأصول ، وأن يعقد لهم مجلسًا يوميًا يسألهم عنها قال – يرحمه الله – : " وكذلك عليكم – أي الأئمة – تعليم الجماعة أمر الدين وسؤالهم عنه ، كما في " مختصر ثلاثة الأصول " فيتعين على كل إمام مسجد إبلاغ جماعته بذلك ، ويعقد لهم مجلسًا يوميًا يسألهم فيه عن أمور دينهم ، ويعلمهم ما يخفى عليهم منها " .

قال الشيخ صالح آل الشيخ : رسالة ثلاثة الأصول ، رسالة مهمّة لكل مسلم ، وكان العلماءُ – أعني علمائنا – يعتنون بها شرحًا ، في أول ما يشرحون من كتب أهل العلم ، ذلك ؛ لأن فيها الجواب عن أسئلة القبر الثلاث ؛ ألا وهي سؤال الملكين العبد عن ربه ، وعن دينه ، وعن نبيه ، وهي ثلاثة الأصول يعني معرفة العبد ربه ؛ وهو معبوده ، ومعرفة العبدِ دينه ؛ دين الإسلام بالأدلة ، ومعرفة العبد نبيه عليه الصلاة والسلام ، فمن هاهنا جاءت أهمية هذه الرسالة ؛ لأن فيها من أصول التوحيد والدين الشيء الكثير .

التمهيد

بعد إيراد الكلام عن أهمية التوحيد ، ثم الكلام عن أهمية الثلاثة الأصول ، وقد منَّ الله عليَّ ودرست هذا المتن عدة مرّات على علماء ومشايخ وطلبة علم في الحجاز أثناء إقامتي بها والتي استمرَّت حوالي عشر سنوات ، وكنت أثناء دراستي لهذا المتن ، أضع أسئلة لنفسي استعدادًا للاختبار فيه ، وظلت هذه الأسئلة حبيسة الأدراج ما يقرب من خمسة عشر عامًا ، ثم إن بعض طلابي اطَّلع عليها فطلب مني أن أخرجها ، وقد شرح الله صدري لشرح المتن بطريقة السؤال والجواب ، وأصل هذه الرسالة شرح لطيف موسوم بـ (مفتاح الوصول شرح ثلاثة الأصول) للشيخ / محمد بن صالح الأسمري ، وقد درستها عليه قديمًا بمدينة الطائف بالحجاز ، ثم نظرت بعدها في الآتي :

١ – حاشية الأصول الثلاثة / الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي – يرحمه الله تعالى –.

٢ – شرح الأصول الثلاثة سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز – يرحمه الله تعالى – .

٣ – شرح ثلاثة الأصول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – يرحمه الله تعالى – .

٤ – شرح الأصول الثلاثة فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر البراك .

٥ – شرح ثلاثة الأصول فضيلة الشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ .

٦ – شرح الأصول الثلاثة الشيخ / خالد بن عبد الله المصلح .

٧ – شرح الأصول الثلاثة الشيخ / سليمان بن محمد اللهيميد .

٨ – حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول الشيخ / عبد الله بن صالح الفوزان .

٩ – تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول الشيخ / عبد المحسن بن محمد القاسم .

١٠ – التعليقات على الأصول الثلاثة الشيخ / أحمد بن يحيى النجمي .

١١ – تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب الشيخ / خليل بن إبراهيم العراقي الأثري .

وغير ذلك من كتب العقيدة .

فاستعنت بالله وأعدت النظر فيها لإخراجها على هذه الطريقة .

لماذا طريقة السؤال والجواب ؟

١ – أسلوبٌ إلهي في تعليم الأُمَّة قال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ) (البقرة / ١٨٩) ، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) (البقرة / ٢١٧) ، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) (البقرة / ٢١٩) ، (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى) (البقرة / ٢٢٢) ، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي) (الأعراف / ١٨٧) ، (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ) (الأنفال / ١) ، وغيرها الكثير ، وكذلك فقد أرسل الله – عز وجل – جبرائيلَ وهو خير الملائكة إلى محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو خير البرية ليُعلِّم خير الأمم – أمة محمد

– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران / ١١٠) – يُعلِّمهم خير وأشرف القضايا وهي أركان الإسلام والإيمان والإحسان ، وورد الخبر في خير الكتب بعد كتاب الله عز وجل في الصحيحين وهو المعروف بحديث جبريل المشهور والذي فيه " أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ ؟ " (خ ٥٠ – م ٩) .

٢ – هديٌ نبوي في التعليم ، أن يأتي بسؤال حتى تبادر الأنفس إلى التطلع إليه وتتشوق الأسماع والأفئدة إلى ما يأتي بعد السؤال من الجواب ، مثال ذلك : ما ورد في الصحيحين وترجم له البخاري – يرحمه الله – (باب : طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم) ، ثم ذكر حديث ابن عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما – عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ قال : فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : (هِيَ النَّخْلَةُ) (خ ٦٢ – م ٢٨١١) .

٣ – أن الشرح إذا أتى على مقتضى السؤال والجواب يجعل النفس عند سماعه أو قراءته تنظر إلى ما بعده من الجواب وتتطلب معرفة ما هنالك من جواب ذلك السؤال ، وسبقني إلى هذا كثيرٌ من العلماء و الشرَّاح لكثير من الكتب .

ترجمة موجزة لمؤلف الرسالة

هو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي من قبيلة تميم . وُلد الشيخ – يرحمه الله – عام ١١١٥هـ في بلدة العيينة ، وتلقى فيها علومه الأولية . فتعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين ، وكان حاد الفهم وقّاد الذهن ذكي القلب سريع الحفظ ، واجتمع له مع هذه الملكات وراثة علمية ووسط ديني صالح تربى فيه ، فجده كان عالمًا جليلاً ، ووالده قاضي العيينة ؛ فأخذ عن مشايخ بلده ثم رحل في طلب العلم إلى الحجاز واليمن والبصرة ، فحاز علومًا وحفظ متونًا ، قرأ كثيرًا من كتب الحديث والتفسير والأصول ، وعني عناية خاصة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، وتأثر بأفكارهما واستنار بآرائهما مما كان له أثر واضح على دعوة الشيخ ومنهجه . عاد الشيخ من هذه الرحلات العلمية المباركة إلى حريملاء حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة لخلاف بينه وبين أميرها ، فَدَرَسَ على والده في حريملاء ودعا إلى توحيد الله تعالى وبيَّن بطلان ما عليه عباد القبور . ولما توفي والده عام ١١٥٣هـ أعلن دعوته إلا أنه ما لبث أن قرر أن (حريملاء) لا تصلح أن تكون منطلقاً للدعوة فانتقل منها فيما يقارب عام ١١٥٥هـ إلى (العيينة) فناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر ثم خذله ؛ فانتقل الشيخ إلى (الدرعية) وهيأ الله له الأمير محمد بن سعود فقويت وانتشرت دعوته فأخذ ينشر التوحيد ويجاهد في إحياء السنة وإماتة البدعة ، ويدرس العلوم النافعة ويؤلف الكتب على طريقة وقد مدَّ الله تعالى في عمر الشيخ فعاش في (الدرعية) بعد انتقاله إليها قرابة خمسين عامًا قضاها في الدعوة إلى الله وتطبيق مبادئها بهدم القباب المقامة على القبور وقطع الأشجار التي يتبرك بها الناس وإقامة الحدود والجهاد والعمل على نشر الدعوة فقرت عينه بانتصار كلمة الحق وشمولها أجزاء الجزيرة ، وقد وافته منيته يوم الإثنين آخر شهر شوال سنة ١٢٠٦هـ وكان عمره نحو اثنتين وتسعين سنة ، ومات ولم يخلف دينارًا ولا درهمًا ، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم .

و سأبدأ أولًا بإيراد المتن كاملًا ، ثم أقطِّعه إلى جمل ، ثم أذكر أسئلة وأجوبة حول الجملة المذكورة .

متن الثلاثة الأصول

للشيخ / محمد بن عبد الوهَّاب – يرحمه الله –

اعْلمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ :

المَسأَلَةُ الأُولَى : الْعِلْمُ : وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ .

المَسأَلَةُ الثَّانِيَةُ : الْعَمَلُ بِهِ .

المَسأَلَةُ الثَّالِثَةُ : الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ .

المَسأَلَةُ الرَّابِعَةُ : الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) سورة العصر .

قَالَ الشَّافِعِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ) .

وَقَالَ البُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : بَابٌ : العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) (محمد / ١٩) ، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ) .

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل ، والْعَمَلُ بِهِنَّ :

الأُولَى :

أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا ، وَرَزَقَنَا ، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلا) (المزمل / ١٥– ١٦) .

الثَّانِيَةُ :

أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) .

الثَّالِثَةُ :

أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة / ٢٢) .

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات / ٥٦) .

وَمَعْنَى (يَعْبُدُونِ) : يُوَحِّدُونِ ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ ، وَهُوَ : إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ . وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ ، وَهُوَ : دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) (النساء / ٣٥) .

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا ؟

فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، وَدِينَهُ ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

* * الأصل الأول * *

.. معرفة الرب ..

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ ؟

فَقُلْ : رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي ، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة / ٢) . وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ .

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟

فَقُلْ : بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ : اللَّيْلُ ، وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت / ٣٧) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف / ٥٤) .

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السماء ماء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة / ٢١– ٢٢) .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ .

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ : الإِسْلامِ ، وَالإِيمَانِ ، وَالإِحْسَانِ ، وَمِنْهُ : الدُّعَاءُ ، وَالْخَوْفُ ، وَالرَّجَاءُ ، وَالتَّوَكُّلُ ، وَالرَّغْبَةُ ، وَالرَّهْبَةُ ، وَالْخُشُوعُ ، وَالْخَشْيَةُ ، وَالإِنَابَةُ ، وَالاسْتِعَانَةُ ، وَالاسْتِعَاذَةُ ، وَالاسْتِغَاثَةُ ، وَالذَّبْحُ ، وَالنَّذْرُ ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا . كُلُّهَا للهِ تَعَالَى ، وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) . فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ ؛ وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون / ١١٧) .

وَفِي الْحَدِيثِ : (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ) . وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر / ٦٠) .

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران / ١٧٥) .

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف / ١١٠) .

ودَلِيلُ التَّوَكُلِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (المائدة / ٢٣) . وقوله : (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق / ٣) .

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ ، وَالرَّهْبَةِ ، وَالْخُشُوعِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء / ٩٠) .

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ...) الآية (البقرة / ١٥٠) .

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ...) الآية (الزمر / ٥٤) .

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة / ٥) . وَفِي الْحَدِيثِ : (... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ) (صحيح الترمذي / ٢٥١٦) .

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق / ١) . وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (الناس / ١) .

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...) الآية (الأنفال / 9) .

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام / ١٦١– ١٦٣) . وَمِنَ السُّنَّةِ : " لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ " (م / ٥٢٤٠) .

وَدَلِيلُ النَّذْرِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) (الإنسان / ٧) .

* * الأَصْلُ الثَّانِي * *

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ : الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِب : الإِسْلامُ ، وَالإِيمَانُ ، وَالإِحْسَانُ . وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ .

الْمَرْتَبَةُ الأولى : الإِسْلامُ .

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ : شَهَادَةُ أَنْ لا إِله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ .

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران / ١٨) .

وَمَعْنَاهَا : لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ (لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ .

وَتَفْسِيرُهَا : الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الزخرف / ٢٦ – ٢٨) . وقَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران / ٦٤) .

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة / ١٢٨) .

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ : طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ .

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة / ٥) .

ودَلِيلُ الصِّيَامِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة / ١٨٣) .

ودَلِيلُ الْحَجِّ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران / ٩٧) .

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : الإِيمَانُ .

وَهُوَ : بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إِله إلا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ .

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ : كما في الحديث : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " .

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) (البقرة / ١٧٧) .

ودَلِيلُ الْقَدَرِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر / ٤٩) .

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : الإِحْسَانُ .

وله رُكْنٌ وَاحِدٌ . كما في الحَدِيثِ : " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " (خ / ٥٠ ، م / ١٠٢) . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل / ١٢٨) . وقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الشعراء / ٢١٧ – ٢٢٠) . وقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) (يونس / ٦١) .

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ : حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ : عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ : " أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا " . قَالَ :

صَدَقْتَ . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ . قَالَ : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ . قَالَ : " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " . قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ :
" مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ " . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا . قَالَ : " أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ " . قَالَ : فَمَضَى ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا ، فَقَالَ : " يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ ؟ " . قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم " (خ / ٥٠ ، م / ١٠٢) .

* * الأَصْلُ الثَّالِثُ * *

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة . نُبِّئَ بـ (اقْرَأْ) ، وَأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ) ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ .
بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر / ١– ٧) . وَمَعْنَى : (قُمْ فَأَنذِرْ) : يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ . (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) : أَيْ : عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ . (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) : أَيْ : طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ . (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) : الرُّجْزَ : الأَصْنَامُ ، وَهَجْرُهَا : تَرْكُهَا ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ .
وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وساءت مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُورًا)
(النساء / ٩٧– ٩٩) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) (العنكبوت / ٥٦) .
قَالَ الْبُغَوِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ –: نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا ، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ .
وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ : قَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (صحيح أبي داود / ٢٤٧٩) .

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ ، مِثلِ : الزَّكَاةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالْحَجِّ ، وَالأَذَانِ ، وَالْجِهَادِ ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ ، وَتُوُفِّيَ – صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ – وَدِينُهُ بَاقٍ .

وَهَذَا دِينُهُ ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ . بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيع) (الأعراف / ١٥٨) . وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) (المائدة / ٣) . وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) (الزمر / ٣٠ ، ٣١) . وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه / ٥٥) . وقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) (نوح / ١٧ ، ١٨) . وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (النجم / ٣١) .

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (التغابن / ٧) .

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء / ١٦٥) .

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) (النساء / ١٦٥) .

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل / ٣٦) . وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ .

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ : إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة / ٢٥٦) . وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إِلا اللهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : " رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ " .

وَاللهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

أولًا أسئلة وأجوبة تمهيدية

س١ : ما الاسم الصحيح لهذا المتن ؟

ج : قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ : (ثلاثة الأصول وأدلتها) ولماذا لم يقل المصنف : الأصول الثلاثة وأدلتها وما هي العبارة الأصح ؟

الشيخ – يرحمه الله تعالى – له رسالة أخرى بعنوان الأصول الثلاثة رسالة صغيرة أقل من هذه علمًا ؛ ليعلمها الصبيان والصغار تلك يقال لها الأصول الثلاثة ، وأما ثلاثة الأصول فهي هذه التي نقرأها ، ويكثر الخلط بين التسميتين ، ربما قيل لهذه ثلاثة الأصول ، أو الأصول الثلاثة ، لكن تسميتها المعروفة أنها (ثلاثة الأصول وأدلتها)

س٢ : لماذا ابتدأ المصنف بالبسملة ؟

ج : لثلاث :

١ – أن البسملة أول آية في القرآن .

٢ – فعل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في رسالاته للملوك .

٣ – ما اصطلح عليه أهل العلم في إبتداء كتبهم بها .

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ :

المسألة الأُولَى : الْعِلْمُ : وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ .

المسألة الثَّانِيَةُ : الْعَمَلُ بِهِ .

المسألة الثَّالِثَةُ : الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ .

المسألة الرَّابِعَةُ : الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) سورة العصر .

قَالَ الشَّافِعِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ) .

وَقَالَ البُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : بَاب : العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ) (محمد / ١٩) ، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ) .

س٣ : قال المصنف – يرحمه الله – اعلم رحمك أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل ، فما هي ؟

ج : الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومعرفة دين الإسلام بالأدلة .

الثانية : العمل به . الثالثة : الدعوة إليه . الرابعة : الصبر على الأذى فيه .

س٤ : عَرِّف العلم ؟

ج : حكم الذهن الجازم الموافق أو المطابق للواقع .

س٥ : لماذا أتى المصنف بكلمة (اعلم) ؟

ج : لفائدتين :

١ – لينبه الأذهان بأهمية ما بعدها .

٢ – أهمية مابعدها (اعلم) فيعقب بعدها غالبًا بكلام أو مادة علمية مهمة .

س٦ : إلى كم قسم ينقسم العلم ؟

ج : ينقسم العلم إلى قسمين :

الأول : علم ضروري (فطري) ، وهو ما لا يكون إدراك المعلوم فيه ضروريًا بحيث يضطر إليه الإنسان من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة .

الثاني : علم نظري (كسبي) وهو ما يكون إدراك المعلوم فيه بحاجة إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في العبادات .

والعلم النظري من حيث التحصيل ينقسم إلى قسمين :

الأول : علم شرعي وهو – أيضًا – ينقسم إلى قسمين :

أولاً : علم تحصيله فرض عين على كل مكلف خوطب بأوامر الشرع الحنيف ، وضابط الفرض العيني هو ما لا يقوم دين المرء إلا به ، سواء أكان في العقائد أم الأعمال أم الأقوال ، فما لا يستقيم دين المرء إلا بما وجب عليه تعلمه .

ثانيًا : علم تحصيله فرض كفاية ، وضابطه أنه يجب على من تقوم بهم الكفاية تعلمه .

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في الفرق بين الفرضين العيني والكفائي :

الفرض العيني أو الواجب العيني : هو الفعل أو القول الذي إنْ لم يفعله المكلَّف أثم ، هذا الواجب العيني ؛ الفرض العيني وهو ما خوطب كل مكلف بعينه بأدائه ، كل مكلف مخاطب بالأداء ، مثل الصلاة كل مكلف مخاطب بأداء الصلاة المفروضة ، فهذا واجب عيني .

– القسم الآخر واجب كفائي : والواجب الكفائي هناك تعريف مشهور له وهو ما إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين ، لكن هذا فيه نظر ، والأحسن منه أن يقال الواجب الكفائي : هو ما خوطب المكلفون بمجموعهم بأدائه لا بكل فرد بعينه .

المقصود من الواجب الكفائي أن يحدث الفعل دون نظر إلى فاعله ، وأما الواجب العيني ، فالمقصود إحداث الفعل من الفاعل المعين ، وهذا فرق مهم يمكن أن تضبط به مسائل الواجب الكفائي ، الواجب الكفائي في الشرع مقصود منه إيقاع الفعل دون نظر إلى من فعل ، بخلاف الواجب العيني ؛ الواجب العيني المقصود منه إيقاع الفعل مع اعتبار النظر إلى من فعل ؛ لأنه واجب تعين على واحد بعينه) .

أقول : ومراد المؤلف – يرحمه الله – بقوله (اعلم) : العلم العيني ، لأن تعلم العقيدة ، وأصول الدين من الفروض العينية التي يتحتم على كل فرد بعينه تعلمها .

الثاني : علم دنيوي وينقسم إلى قسمين :

١) علم مباح كتعلم الطب والهندسة ونحوه ، على أن لا يقع الإخلال في طلب العلم الشرعي .

٢) علم محرم كتعلم السحر ونحوه .

س٧ : اشرح قول المصنف : (يرحمك الله) ، وماذا أفاد ذلك ؟

ج : للرحمة نوعان :

١ – صفة الله .
٢ – رحمة متعدية إلى الخلق .

ودلَّ ذلك على خلتين حسنتين في المعلم .

أ – رأفة وشفقة المعلم بِمَنْ يُعلِّمه .
ب – أن المعلم آخذ بمحاسن التعليم .

س٨ : ما المقصود بقوله : (يجب ...) ؟

ج : من الوجوب ، والوجوب ينقسم إلى قسمين :

١) وجوب عيني .
٢) وجوب كفائي .

ومراد المؤلف بقوله (يجب) الوجوب العيني ، لأن تعلم العقيدة أمر يجب على كل فرد بعينه أن يتعلمه .

س٩ : ما المقصود بقوله (علينا ...) ؟

ج : الضمير (نا) يعود على المكلفين ولو أقصيناه واستعضنا بدلاً عنه بـ (المكلفين) لما تغير المعنى ويكون التقدير حينها (أنه يجب على المكلفين) ، والمكلف ما من شأنه التكليف وهو العاقل البالغ ، ويدخل في ذلك الذكر والأنثى ، العبد والحر ، والتكليف هو ما فيه إلزام ومشقة .

س١٠ : ماذا أراد المصنف بقوله (يجب علينا) ومادليل الوجوب ؟

ج : أراد الوجوب العيني على المكلفين ، ودلَّ على الوجوب :

١ – النصوص . ٢ – الإجماع .

والواجبات نوعان :

١ – كفائي : إذا فعله البعض سقط الإثم عن الباقين .

٢ – عيني : مايُطلب فعله من كل المكلفين ذكورًا وإناثًا أحرارًا وعبيدًا .

س١١ : ماذا أراد بكلمة (تَعَلُّم) ؟

ج : أي طلب العلم بأن نسعى في تعلم ومعرفة هذه الأشياء ، والمقصود : ضد الجهل ، فالعلم الواجب هنا ما يتحقق عند الإنسان في ذهنه ثم يعمل به .

س١٢ : لماذا حصر المسائل في أربع مسائل ؟

ج : حصرها بأربع لدلالتين :

١ – الخبر : كما في سورة (العصر) .

٢ – الإجماع : أجمع المسلمون على أن هذه الأربعة هي الواجبات المتحتمات .

س١٣ : ما معنى مسائل ؟

ج : تعرف بأنها : ما يبحث عن برهانها (عن دليلها) فكل مطلب أو مبحث يبحث عن برهانه يصح أن يسمى في اصطلاح أهل العلم بالمسألة .

س١٤ : وهل هذه الأربع ينطبق عليها بعض المسائل ؟ ولماذا ؟

ج : نعم ينطبق عليها حيث إنها تحتوي على شيئين :

١ – أنها من الأشياء التي تُبحث . ٢ – أنها من الأشياء التي يبحث عن برهانها أو دليلها .

س١٥ : ما المقصود بقوله : (معرفة الله ...) ؟

ج : أي معرفة الله – عز وجل – بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له ، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات ، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علمًا بخالقه ومعبوده قال الله عز وجل : (وَفِي الأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) (الذاريات / ٢٠ – ٢١) .

س١٦ : ما المقصود بقوله : (معرفة نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) ؟

ج : أي معرفة رسوله محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – معرفة تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق ، وتصديقه فيما أخبر ، وامتثال أمره فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه قال الله عز وجل : (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) (النساء / ٦٥) . وقال تعالى : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النساء / ٥٩) . وقال عز وجل : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور / ٦٣) .

قال الإمام أحمد – يرحمه الله – : (أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك) .

س١٧ : ما المقصود بقوله (معرفة دين الإسلام) ؟

ج : قوله معرفة دين الإسلام : الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل . قال الله تعالى عن إبراهيم : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) (البقرة / ١٢٨) .

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يختص بما بعث به محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأن ما بعث به النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلمًا ومن خالفه ليس بمسلم ، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم .

س١٨ : ما الدليل على أن كل الشرائع السابقة إسلام ؟

ج : لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة أن جميع الشرائع السابقة من الإسلام ، وأن أتباع الأنبياء في زمن أنبيائهم هم من المسلمين ، والأدلة كثيرة ومتوافرة منها :

١) الإسلام هو الجهة التي أضاف الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام إليها ، بعد أن ادَّعاه كل من اليهود والنصارى ، قال الله تعالى : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران / ٦٧) .

٢) الإسلام هو الذي كان إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام يدعوان به ، كما قال تعالى : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) (البقرة / ١٢٨) .

٣) الإسلام هو وصية يعقوب عليه السلام لبنيه لما حضره الموت كما قال تعالى : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة / ١٣٣) .

٤) الإسلام هو الذي أمر الله تعالى موسى عليه السلام بتبليغه بني إسرائيل ، كما قال تعالى : (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ) (يونس / ٨٤) .

٥) الإسلام هو الذي دعا إليه سليمان عليه السلام أهل سبأ ، كما قال تعالى : (أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) (النمل / ٣١) .

وهو الدين الذي أجابت إليه بلقيس كما قال تعالى عنها : (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (النمل / ٤٤) .

٦) والإسلام هو دين عيسى عليه السلام أيضًا ، كما قال تعالى : (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ ءَامَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران / ٥٢) .

٧) حتى إن فرعون لما أدركه الغرق انتمى إليه ، ولم يقل إني من اليهود أو من الإسرائيليين لعلمه أن الدين الذي يدعو إليه موسى عليه السلام اسمه الإسلام ، كما قال تعالى عنه : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يونس / ٩٠) .

س١٩ : هل للأدلة أنواع ؟ وما هي ؟

ج : نعم لها نوعان :

١ – خبرية سمعية : كالكتاب والسنة وما إليهما .   ٢ – نظرية عقلية : كالقياس ... إلى غير ذلك .

س٢٠ : هل هناك فرق بين العلم والمعرفة ؟

ج : جماهير أهل اللغة والمعرفة لا يفرقون ، ومذهب آخر يفرق :

١ – الأول : من لا يفرق فيقول : معرفة الشئ هو العلم به .

٢ – الثاني : الذين يفرقون واختلفوا في التفريق على أقوال كثيرة لعدم وجود ضابط صحيح يرجع إليه في اللغة ، فمن قال : العلم أدنى مرتبة فالمعرفة (إدراك الشئ على ماهو عليه خارج الذهن) ومنهم من قال غير ذلك ، والمصنف : مشى مع رأي جمهور اللغويين في عدم التفريق .

س٢١ : عَرِّف الدليل لغة واصطلاحًا ؟

ج : لغة : ما فيه دلالة وإرشاد إلى أي أمر من الأمور (كل ما أرشد إلى مطلوب) .

اصطلاحًا : ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري ، والمطلوب الخبري (الحكم الشرعي) .

س٢٢ : هل تعود كلمة (بالأدلة) على الثلاثة (الله ، والرسول ، والإسلام) أم على الإسلام فقط ؟

ج : احتمالان :

١ – تعود على معرفة الثلاثة بالأدلة . ٢ – تعود على معرفة الإسلام فقط ، ويؤكد هذا الاحتمال برهانان :

أ – (القاعدة اللغوية) الضمير يعود إلى أقرب مذكور .

ب – تبيين المصنف حيث شرح الأصلين الأولين دون أن يذكر كلمة الأدلة ثم ذكرها مع معرفة دين الإسلام .

س٢٣ : ما حقيقة التقليد ؟ وما الاجتهاد ؟

ج : حقيقة التقليد : هي قبول الشيء بدون معرفة حجته ودليله .

والاجتهاد : معرفة الشيء بدليله ووجه استنباطه .

س٢٤ : هل يجب الاجتهاد أو هل يجب التقليد ؟ وهل يجوز التقليد في أصول الدين أو العقيدة ؟

ج : اختار ابن تيمة أنه لا يقال الاجتهاد واجب على الناس كلهم ، ولا يقال التقليد واجب على الناس كلهم ، وإنما يقال الاجتهاد جائز والتقليد جائز ، والحكم يدور مع القدرة وعدمها ، فمن الناس من عنده القدرة على معرفة الأدلة وما إليها كالمجتهد فلا يجوز له أن يقلد في جملة المسائل .

أما من يقول :(لا يجوز التقليد في أصول الدين ولا في مسائل العقيدة) فهذا مخالف لما عليه جماهير الناس .

س٢٥ : ماذا قصد المصنف بقوله (الثانية – العمل به) ؟

ج : يقصد : كل عمل أوجبه الله ورسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فأعمال الدين نوعان :

١ – ما كان واجبا على كل مكلف ومكلفة . ٢ – ما كان غير واجب ولكنه مستحب مندوب إليه .

س٢٦ : ما المقصود (بالدعوة إليه) وإلى أي شيء يعود الضمير في (إليه) ؟

ج : الدعوة مأخوذة من الدعاء وهو الطلب ، فالدعوة إلى ما علمته من معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام تحصل بالدلالة عليها والطلب من الغير أن يعمل بها .

– والضمير إما أن يعود على العمل ، وإما أن يعود على العلم ، وإما أن يعود على العمل والعلم على حد سواء وإرجاع الضمير إلى أقرب مذكور هو القاعدة ، ويجوز أن يرجع إلى كل ما سبق من علم وعمل وهذا أوفق .

س٢٧ : ما معنى الصبر ؟ وما المقصود به هنا ؟ وما أنواعه ؟ وأي نوع قصد المصنف ؟

ج : الصبر : لغة : الحبس ، واصطلاحًا : حبس النفس على طاعة الله تعالى ، وحبسها عن معصية الله ، وحبسها عن التسخط على أقدار الله . والمقصود به هنا : (الصبر على الأذى في الدعوة إلى ما سبق) وفيه تشبيه بوظيفة الأنبياء .

وأما أنواعه : فهو نوعان :

١ – صبر واجب وهو ثلاثة أشياء :

أ – على عمل الفرائض والواجبات . ب – الصبر عن ارتكاب الكبائر والمحرمات .

ج – الصبر على البلايا (على أقدار الله) .

٢ – صبر مستحب : وهو الزائد على حد الواجب .

والمقصود في قول المصنف : هو الصبر الواجب فقط .

س٢٨ : ما أقسام أقدار الله ؟

ج : أقدار الله تنقسم إلى قسمين :

الأول : أقدار يجريها الله تعالى لا كسب للعباد فيها وهذه بدورها تنقسم إلى قسمين :

١) أقدار ليس للإنسان القدرة على دفعها كموت عزيز مثلاً .

٢) أقدار للإنسان القدرة على دفعها كالمرض مثلاً ، فهو مأمور بدفعه بقدر مثله وهو الدواء ونحو ذلك .

الثاني : أقدار يجريها الله على أيدي بعض المخلوقين من الإيذاء والعدوان .

س٢٩ : ما جزاء الصابرين عند الله تعالى ؟

ج : لقد أعطى الله تعالى لأهل الصبر ما لم يعط لغيرهم ، فجزاهم بما صبروا الأجر الكبير ، والثواب الجزيل ، والنعيم المقيم ، وكما قيل (بعد المحن تأتي المنح) ، وسنعرض جانبًا من هذا الجزاء عسى أن نوفي أهل الصبر حقهم :

١) يوفيهم الله تعالى أجرهم بغير حساب ، قال تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر / ١٠) .

٢) ليس لهم جزاء إلا الجنة ونعيمها ، قال تعالى : (وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) (الإنسان / ١٢) .

٣) أخبر الله تعالى أنه معهم ، ومن كان الله معه فلا يخاف ولا يخشى قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة / ١٥٣) .

٤) أخبر الله تعالى أنه يحبهم ، ومن يحبه الله هانت عليه الدنيا وما فيها ، قال تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران / ١٤٦) .

٥) جمع الله تعالى لهم ما لم يجمع لغيرهم ، حيث أعطاهم من العطايا والمنح ما هو خير مما طلعت عليه الشمس ، فقال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون) (البقرة / ١٥٧) .

س٣٠ : هل يجوز للمخلوقين أن يقسموا بالعصر ؟

ج : لا يجوز للمخلوقين أن يقسموا إلا بالله تعالى وحده ، وهنالك شبهة يرددها القبوريون ممن يؤلهون ويعظمون المخلوقين مفادها : أنه طالما أقسم الله بالعصر وغيره من المخلوقات ، فكذلك يجوز لنا أن نقسم بها ؟
والجواب عليها : أن الله تعالى يقسم بمخلوقاته متى شاء ، كيف شاء ، فهو رب خالق ، أما نحن فمربوبون مخلوقون وهذا أولًا ، وأما ثانيًا فللنهي الوارد عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في عدم جواز القسم بغير الله تعالى ، فعن عبد الله بن عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما – : أن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه ، فقال : " أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ وَإِلاَّ فَلْيَصْمُتْ " (خ / ٦١٠٨ ، م / ٤٣٤٦) ، وعن سعد بن عبيدة : أن ابن عمر سمع رجلاً يقول لا والكعبة ، فقال ابن عمر : لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول : " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " (صحيح الترمذي / ١٥٣٥) .

س٣١ : بم فسر (الإنسان) وما المقصود بـ (إلا) في تفسير (الإنسان) ؟

ج : في المقصود بالإنسان قولان :
١ – الكافر
٢ – جنس الإنسان : وهو مأخوذ من (النوس) أي الحركة ، فيقال لكل متحرك (إنسانًا) ثم زيد فيه أن يكون مأنوسًا ، فإذا كان متحركًا ومأنوسًا سمي إنسانًا و (إلا) تفسر على التفسير الأول (الكافر) بأن هذا إستثناء منقطع (أن يكون المستثنى من غير المستثنى منه) وإذا كان على التفسير الثاني (لم يكن إستثناءً منقطعًا) .

س٣٢ : ما المقصود بعبارة (الشافعي) أو (ماذا عنى بها المصنف) ؟

ج : عنى شيئين :
١ – التدليل على عظمة سورة العصر ، وأنها جمعت أصول الخير والواجب على كل مكلف ومكلفة .
٢ – أن سور ة العصر من السور التي كان يعرف الأولون عظمتها ويستنتجون منها هذا الاستنتاج .

س٣٣ : ما أنواع الاستنتاج ؟

ج : الاستنتاج نوعان :
١ – جملي عام يؤخذ من كلمة عامة ، ومن أمثلتها : مقولة الشافعي .
٢ – تفصيلي : وهو أن يذكر الفائدة بعينها من آية أو سورة دون أن يجمل فيها .

س٣٤ : ما المراد بـ (لكفتهم) ؟

ج : يأتي عليها احتمالان :
١ – لكفتهم فيما أوجبه عليهم من الأشياء العامة الواجبة ، ويدل عليه ما ذكره المصنف في المسائل الأربعة .

٢ – لكفتهم في معرفة مسائل الدين ، وهذا غير مقصود لأن السورة لا تشمل جميع أوامر الدين وأحكامه وشرائعه وإنما شاملة لشيء منه لا لكله .

والاحتمال الأول هو المتعين لشيئين :

١ – الحس : نحس من هذه السورة هذا المعنى لاغيره .

٢ – الإجماع : لما أجمع عليه المفسرون وغيرهم أن سورة العصر ليس فيها الاحتمال الثاني .

س٣٥ : لماذا أورد المصنف قولة (البخاري) : (باب) : العلم قبل القول والعمل ؟

ج : لسببين :

١ – لبيان أهمية العلم وشرف مرتبته وعلوها وذلك واضح من شيئين .

أ – أن البخاري قدم العلم في قوله (العلم قبل القول والعمل) .

ب – قوله فبدأ بالعلم .

٢ – أنه لابد من تقدم العلم على العمل ، أما من يعمل جهلاً ثم بعد عمله يتعلم فقد غلط ، لذلك قسم أهل العلم الناس في أمر العلم والعمل على طوائف ثلاث .

س٣٦ : ما أقسام الناس في أمر العلم والعمل ؟

ج : ١ – طائفة عندها علم ولكنها لا تعمل ، وهؤلاء هم اليهود .

٢ – طائفة عندها عمل ولكن على جهل ، وهؤلاء هم النصارى .

٣ – طائفة الإسلام الناجية وهي التي جمعت بين العلم والعمل كما في آخر سورة الفاتحة .

س٣٧ : على أي شئ يدل قول الإمام البخاري : (العلم قبل القول والعمل ...) ؟

ج : يدل على وجوب البدء بالعلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) (محمد / ١٩) .

قال الشيخ ابن عثيمين : (استدل البخاري – يرحمه الله – بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانيًا ، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحًا مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة ، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم) .

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل ، والْعَمَلُ بِهِنَّ :

الأُولَى : أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا ، وَرَزَقَنَا ، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلا) (المزمل / ١٥ ، ١٦) .

الثَّانِيَةُ : أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) .

الثَّالِثَةُ : أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة / ٢٢) .

س٣٨ : قال المصنف : (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل ، والْعَمَلُ بِهِنَّ) فما هذه المسائل الثلاث ؟

ج : هي (الأولى) أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً .

(الثانية) أن الله لايرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل .

(الثالثة) أن من أطاع الرسول ووحَّد الله لا يجوز له مولاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب .

س٣٩ : ما أهمية هذه المسائل الثلاث ؟

ج : تأتي أهميتها للأسباب التالية :

١) أنها واجبة التعلم ، كما قال المؤلف وقد سبق التعريف بالوجوب آنفًا .

٢) إنها واجبة العمل بها ، فلا يكفي العلم بها فقط .

٣) إنها تسلط الضوء على ثلاث مسائل مهمة هي :

الأولى : حيث تسلط الضوء على توحيد الربوبية وما يختص به الرب تبارك وتعالى من أفعال وصفات ، حيث إن الخلق والرزق والتدبير وإرسال الرسل ، كلها مما يختص به الرب تبارك وتعالى .

الثانية : فإنها تسلط الضوء على توحيد الألوهية وما يجب لله تعالى على عباده .

الثالثة : إنها مما يخص مسألة الولاء والبراء .

قال الأسمري : (وهذه المسائل الثلاث هي : –

أولاً : توحيد الألوهية ، ويسمى بتوحيد الإلهية ، ويسمى بتوحيد العبادة .

ثانيًا : توحيد الربوبية ، ويسمى بتوحيد الرب في أفعاله .

ثالثًا : مسألة الولاء والبراء) .

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ : (هذه الثلاث مسائل من المهمَّات العظيمات :

الأولى : أن يعلم المرء الغاية من خلقه ، وإذا علم الغاية ، أن يعلم الطريق الموصلة لانفاذ هذه الغاية .

الثانية : ليعلم أن الطريق واحدة ، وأن الله جل وعلا لا يرضى الشرك به ، حتى بالمقربين عنده ، والذين لهم المقامات العالية عنده جل وعلا ، لا يرضى أن يشرك معه أحد .

الثالثة : أن لا يكون في قلب الموحِّد ؛ الذي وحَّد الله ، وأطاع الرسول ، وخلص من الشرك ، أن لا يكون في قلبه محبة للمشركين .

هذه الثلاث هي أصول الإسلام بأحد الاعتبارات ، أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن تحققوا بها قولًا وعملاً واعتقادًا وانقيادًا)

س٤٠ : لماذا حكم على هذه المسائل بكونها واجبة ؟

ج : لدلالتين :

١ – الخبر : فقد ذكر المصنف جملة من الأدلة .

٢ – الإجماع [1] .

س٤١ : لماذا حصر المسائل في ثلاث ؟

ج : للاستقراء .

س٤٢ : مامعنى الاستقراء ؟

ج : الاستقراء هو : أن يقرأ الإنسان مفردات شيء حتى يعطيه حكمًا تشترك هذه المفردات فيه .

س٤٣ : ما مدار هذه المسائل الثلاث ؟

ج : ١ – توحيد الألوهية . ٢ – توحيد الربوبية . ٣ – الولاء والبراء .

س٤٤ : ما أهمية المسائل الثلاث ؟

ج : عليها يدور الدين وهي أصل أصوله ومجمع فصوله كما قرره أئمة السنة والعلم ؟

س٤٥ : ما معنى الرب ؟

ج : لها أكثر من معنى منها : (التربية) فيقال : رَبَّي فلان ابنه ، إذا صنع معه التربية الحسنة .

س٤٦ : ما توحيد الربوبية ؟

ج : هو : توحيد الله بأفعاله ، مثل اعتقاد أنه خالق ورازق .

---

1 _ ونقل الإجماع (ابن بطة في الأبانة الكبرى – وشيخ الإسلام في المجموع)

س٤٧ : ما الفرق بين (الرَّزق) بفتح الراء و (الرِّزق) بكسر الراء ؟

ج : بالفتح (الرَّزق) : أي الفعل الذي يفعله من يرزق (وهو مصدر من رزق يرزق) .

بالكسر : (الرِّزق) : الذي يأتي العبد نتيجة رزق الله له .

س٤٨ : ذكر المصنف معان تتعلق بالربوبية ، اذكرها ؟

ج : ١ – الخلق : وذلك بقول المصنف (أن الله خلقنا) و(نا) تعود على الخلق البشري وقد تعود على المكلفين ليدخل الجن .

٢ – الرَّزق : بقوله (رزقنا) و (نا) مثل (نا) في خلقنا سواءً بسواء .

٣ – التدبير : بقوله (ولم يتركنا هملاً) ومعناها : أن الله دبر الخلق فلم يتركهم سدى ولا عبثًا ، لا يؤمرون ولا ينهون ، بل أمرهم بالخيرات ونهاهم عما يفسد آخرتهم ودنياهم .

س٤٩ : ما الدليل على أن الله متصف بالخلق ؟

ج : دلَّ على ذلك دلائل منها :

١ – الخبر السمعي : كقوله تعالى : (الله خالق كل شيء) . ٢ – الإجماع .

٣ – دلالة النظر : ولها إشارات في القرءان كقوله (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) (الطور / ٣٥) .

س٥٠ : ما الدليل على أن الله متصف بالرزق ؟

ج : ١ – الخبر السمعي : كقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات / ٥٨) .

٢ – الإجماع . ٣ – دلالة النظر : فالخلق كما أنهم عجزوا عن إيجاد أنفسهم فهم بحاجة إلى من يغذيهم .

س٥١ : ما معنى (هملا ، سدى ، عبثًا) ؟

ج : بمعنى واحد هو : أن الله لم يتركهم لا يؤمرون ولا ينهون كما قال ابن عباس وأئمة التفسير كالطبري وغيره .

س٥٢ : ما الدليل على أن الله دبر الخلق ؟

ج : ١ – الخبر السمعي : كقوله تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) (المؤمنون / ١١٥) . ٢ – الإجماع .

س٥٣ : هل الجن يرسل إليهم رسلا ؟ أم هناك من يبلغهم بالذهاب إلى رسل بني آدم ؟

ج : القول الثاني عليه جمهور أهل السنة والعلم ، كما قال شيخ الإسلام وكذا غيره .

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) (الأحقاف / ٢٩) .

س٥٤ : ما معنى قوله : (من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار) ؟

ج : قوله : (من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار) : هذا المعنى دل عليه دلالتان ظاهرتان : –

أما الدلالة الأولى : فالخبر السمعي ، ومن ذلك ما أخرجه الإمام البخاري أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى " (خ / ٧٢٨٠) ، وهذا فيه دلالة على المعنى الذي قرره المصنف – يرحمه الله – .

وأما الدلالة الثانية : فدلالة إجماع أهل السنة والأثر ، حيث أجمعوا أن العُصاة في النار ، وأن أصحاب الطاعات والخير في الجنة ، وهذا الإجماع إجماع مجُمل مبهم ، وقد نقله جماعة ، ومن أولئك الطبري في (تفسيره) و (عقيدته) ، وكذلك البربهاري في (شرح السنة) وغيرهما – يرحمهما الله تعالى – .

ثم ليعلم أن دخول الطائعين إلى جنة رب العالمين على جهتين : –

أما الجهة الأولى : فهو دخول من أول وهلة ، دون أن يُسبق دخولهم بعذاب ، ومن أمثلة ذلك السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما جاء حديثهم صحيحًا .

وأما الجهة الثانية : فهو دخول ولكن بعد أمد ، أي بعد سَبْق عذاب عليهم ، ثم يكون مآلهم إلى الجنة ، وهؤلاء الصنف هم أهل الطاعة ، وأول الطاعات وأعظمها هو توحيد الله سبحانه وتعالى .

فالموحدون دخولهم للجنة إما أن يكون من أول وهلة ، وإما أن يكون بعد سَبْق عذاب ، لكن يكون مآلهم إلى الجنة .

وأما العُصاة فإنهم يدخلون النار ، والعُصاة صنفان : –

أما الصنف الأول : فأهل كفر وإلحاد ، خرجوا عن ملة الإسلام ، فهؤلاء في النار خالدين فيها .

وأما الصنف الآخر : فهم أهل توحيد ، أو الذين في قلوبهم مثقال حبة خردل من إيمان ، فهؤلاء مآلهم إلى الجنة ، وإن بقوا في النار أمدًا .

فيتلخص مما سبق أن أهل الطاعة مآلهم إلى الجنة ، وسيدخلون الجنة ولا بد ، فمِن داخل من أول وهلة ، ومِن متأخر عن أولئك .

وأن أهل المعصية منهم الكافر ، ومنهم المسلم المؤمن ، فإذا كان مسلمًا عُذب وكان مآله إلى الجنة ، وإن كان كافرًا أدخل النار وكان خالدًا فيها .

فيحمل قول المصنف – يرحمه الله – (فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار) على المعنى السابق ، وهو ما دلت عليه الدلائل والأدلة .

ثم قال المصنف – يرحمه الله – : والدليل قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) (المزمل / ١٥) . الخطاب في قوله سبحانه : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يقصد به : المشركون إبان بعثة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، إما أن يقصد به مشركو العرب ، أو أن يقصد به المشركون مطلقًا ، فهما قولان لأرباب التفسير ، محكيان عن أئمة التفسير ، كما ذكره ابن جرير – يرحمه الله – في (تفسيره) وابن كثير – يرحمه الله – في (تفسيره) أيضًا) .

س٥٥ : قوله : (ومن عصاه دخل النار) اشرح ؟

ج : العصاة صنفان :

١ – أهل الكفر والإلحاد : فهؤلاء خالدون في النار .

٢ – أهل التوحيد أو من في قلوبهم مثقال حبة خردل من إيمان فهؤلاء مآلهم الجنة .

س٥٦ : ما معنى قوله تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ (المزمل / ١٥ – ١٦) ؟

ج : المقصود من الآية : أنكم أيها المشركون المكذبون يا من عاندتم بجهلكم وكِبْرِكم النبي محمدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعصيتموه ، وأنتم تعلمون ما حل بفرعون وآل فرعون من العذاب ، سيقع لكم ما وقع لهم وما سيقع لهم في الآخرة إن أنتم عصيتم النبي الخاتم محمدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

فهذه الآية دلت على ما أوردها المصنف عليه من جهة ، ألا وهي أن الآية فيها تهديد بالعقاب للمشركين الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كما وقع بآل فرعون .

وإنما مثل بآل فرعون – كما قاله جمع من المفسرين – لعلتين : –

أما العلة الأولى : فلشهرة خبره عند المشركين إبان بعثة النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وضَرْب الأمثال بما هو معلوم عند المخاطب ومشهور عنده هو عين المقصود ، ولذلك ضَرَب الله – سبحانه وتعالى – بآل فرعون مثلاً تهديدًا وتخويفًا بنزول العذاب والعقاب .

وأما العلة الثانية : فلأن فرعون كان كبيرًا عاليًا بطغيانه ؛ فلكونه كان من أعلى الطغاة الذين أنكروا الإلهية لله – سبحانه وتعالى – ، وعصوا الرسول موسى – عليه الصلاة والسلام – مع كونه قد أردف بوزير آخر ، وهو هارون – عليه السلام – ، فدل ذلك على عظيم ما وقع عليه ، فصَحَّت العِلَّة ، فالعلة الأولى لكونه خبرًا مشهورًا ، والعلة الثانية لكون فرعون قد نزل إلى أدنى الدركات ، وامتطى أعلى ما يعلو إليه الجاهلون ، من جهلهم وعنادهم وكبرهم ، ومن ثم وقع التمثيل بفرعون ، وما يقع عليه وما سيقع من سوء العذاب .

س٥٧ : ما تعريف توحيد الإلهية ؟

ج : هو توحيد الله بأفعال الخلق .

س٥٨ : ما تعريف الشرك لغة وشرعًا ؟

ج : الشرك لغة : مأخوذ من الاشتراك والإشراك في العمل .

شرعًا : الإشراك في الشرع المقصود به هنا : الشرك في توحيد الإلهية .

س٥٩ : ما معنى قوله : (أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ ...) ؟

ج : وهذه هي المسألة الثانية من المسائل التي يجب علينا العلم والعمل بها ، وهي أن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والشرك ، اللذان هما مما يناقض الغاية من خلقهم ، وبعث الرسل إليهم ، قال تعالى : (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ) (الزمر / ٧) .

وقال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : قَالَ اللَّهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – : " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " (م / ٧٦٦٦) .

س٦٠ : ما معنى قوله : (في عبادته ...) ؟

ج : أي لا يرضى الله تعالى الشرك في عبادته ، لا واسطة ولا استقلالاً .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : (قال شيخ الإسلام : العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل) .

وقال أيضًا : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

قال ابن القيم : ومدارها على خمس عشرة قاعدة . من كملها كمل مراتب العبودية .

وبيان ذلك : أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح . والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح . وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح .

وقال القرطبي : أصل العبادة التذلل والخضوع . وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات . لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى .

ومعنى الآية : أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته . فهذه هي الحكمة في خلقهم .

قلت : وهي الحكمة الشرعية الدينية .

قال العماد ابن كثير : وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور . وذلك هو حقيقة دين الإسلام . لأن معنى الإسلام : الاستسلام لله تعالى ، المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع) .

س٦١ : ما معنى ورود كلمة (أحد ...) نكرة سواء أكانت في سياق الآية الشريفة أم في كلام المؤلف ؟

ج : لقد تقرر عند علماء الأصول أن النكرة إذا وردت وقد سُبِقَت بنفي أو نهي أو شرط أو استفهام فإنها تفيد العموم ، وعندها يستقيم المعنى بعدم جواز اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله ، وهذا يعم كل أحد ، ولهذا لا يجوز أن يتخذ مع الله ندًا يُعبد و يُدعى سواء أكان على سبيل الواسطة أم الاستقلال حتى لو كان من أقرب الملائكة كجبريل أو من أقرب الأنبياء والمرسلين كمحمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

قال الشيخ صالح عبد العزيز آل الشيخ : وجه الاستدلال أن (أَحَدًا) نكرة جاءت في سياق النفي ، وقد تقرر أن النكرات إذا أتت في سياق النفي ، أو النهي ، أو الشرط ، أو الاستفهام ، فإنها تعُم قال تعالى : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) يدخل في (أَحَدًا) الملائكة ، ويدخل فيه الأنبياء .

هذا الأصل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلمه علمًا يقينيًا لاشك فيه ولا شبهة ، بدليله وهو قوله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) .

فلا يخطر على قلب المسلم أو المسلمة أنه يمكن أن يدعو غير الله ، أو أن يستغيث بغير الله ، أو أن يتوجه إلى غير الله ، بأي نوع من أنواع العبادات حتى ولو كان المتوجه إليه ملك مقرب ، أو نبي مرسل) .

س٦٢ : ما الفرق بين النبي والرسول ؟

ج : النبي : ما نبئ بالوحي ، وأنبأ غيره بما نبئ به ، خلاف للرسول : فهو منبئ لغيره لكن بشرع جديد ، فهناك فارقان :

١ – الرسول أخص من النبي ، فالنبي معنى عام فكل رسول نبي ولا ينعكس .

٢ – النبي يأتي مؤكدًا لشرعة سابقة ، والرسول يأتي بشرعة جديدة .

س٦٣ : عرفنا أن ليس كل نبي رسولًا فهل كل نبي مرسل ؟

ج : يقول الشيخ صالح آل شيخ : النبي قد يكون مرسلًا إلى نفسه ، ولكنه ليس رسولًا بالمعنى الأخص وذلك لقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) (الحج / ٥٢) فتبين أن النبي أرسل فهو مرسل من عند الله ، فالنبي قد يؤمر بتبليغ قوم موافقين أو يأمر بتبليغ نفسه فيكون مرسلًا إلى نفسه .

س٦٤ : ما قول أئمة التفسير في (المساجد) ؟

ج : فيها تفسيران :

١ – أن المساجد هي بيوت الله التي يسجد فيها ويصلي (ذهب إليه جمهور المفسرين) .

٢ – يقصد بها ما يتخذ عبادة ويدخل في ذلك الصوامع والكنائس (قول مجاهد وجماعة) .

س٦٥ : ما الذي يترتب على كل تفسير ؟

ج : على القول الأول : أن بيوت الله لله ، فلا يصح أن يشرك مع الله أحد في هذه المساجد فضلاً عن غيرها .

على القول الثاني : أن الناس وقت بعثة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذا دخلوا كنائسهم وصوامعهم أشركوا مع الله غيره فأمرهم أن يوحدوه وألا يشركوا معه غيره حتى في أماكن عبادتهم من الصوامع والكنائس وغيرها ، وعلى هذا القول : تكون الإضافة لله غير صحيحة لأن الإضافة إضافة تشريف وهذه لا شرف لها .

س٦٦ : ما معنى (فلاتدعوا) ؟

ج : تفسيران :

١ – أن الدعاء هو : أحد مفردات العبادة ليمنع غيره من باب أولى لأن مخ العبادة هو الدعاء ، فإذا منع صرفه لغير الله منع غيره من باب أولى ومثل بالدعاء لا ليقصر عليه الحكم ، وإنما ليجعل مثالاً وغيره من باب أولى .

٢ – وعليه جمهور المفسرين : أن (لا تدعوا) أي لا تعبدوا ويدل على ذلك حديث (الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ) (صحيح الترمذي / ٣٢٤٧)

س٦٧ : ما معنى قوله : أن من أطاع الرسول ، ووحد الله لا يجوز له موالاة ...) ؟

ج : أي من أطاع الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كما في المسألة الأولى ، ووحَّد الله تعالى كما في المسألة الثانية ، لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ، لا يجوز له (أن يوالي من حاد الله ورسوله ، ولو كان ذلك أباه أو أمه أو أخاه أو أخته أو قريبه ، وذلك لقول الله تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ) (المجادلة / ٢٢) ، إلى آخر الآية ، وقال جل وعلا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ) (التوبة / ٢٣) ، وقال جل وعلا : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) (المائدة / ٥١) لمّا ذكر اليهود والنصارى ، فأصل الدين الذي هو من معنى كلمة التوحيد الولاء والبراء ؛ الولاء للمؤمنين وللإيمان ، والبراءة من المشركين والشرك ، ولهذا يُعِّرف علماؤنا الإسلامَ : بأنه (الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله) .

س٦٨ : ما معنى الموالاة ؟

ج : الموالاة : معناها أن تتخذه وليًا ، من التولي أو من الولاء وهو بمعنى المحبة أو الوَلاية وهي المحبة ، قال جل وعلا : (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) (الكهف / ٤٤) ، يعني هنالك المحبة والمودة والنُّصرة لله الحق ، فأصل الموالاة المحبة والمودة ، ولهذا استدل بقوله : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّون) (المجادلة / ٢٢) ، ففسَّر الموالاة بأنها المُوادّة ، وهذا معناه أن أصل الموالاة في القلب ، فأصل الدين أن من دخل في (لا إله إلا الله) فإنه يحب هذه الكلمة وما دلت عليه من التوحيد، ويحب أهلها، ويُبغض الشرك المناقض لهذه الكلمة، ويبغض أهله. فكلمة الولاء والبراء هي معنى الموالاة والمعاداة، وهي بمعنى الحب والبغض .

الموالاة : موالاة المشركين والكفار محرمة وكبيرة من الكبائر ، وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك ، ولهذا ضبطها العلماء بأن قالوا تنقسم الموالاة إلى قسمين :

الأول التولِّي . والثاني الموالاة .

أما التولِّي : فهو الذي جاء في قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) (المائدة / ٥١) ، تولاه توليًا ؛ التولي معناه محبة الشرك وأهل الشرك ، محبة الكفر وأهل الكفر ، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان ، قاصدًا ظهور الكفر على الإسلام ، بهذا الضابط يتضح معنى التولي ....

القسم الثاني الموالاة : والموالاة المحرّمة من جنس محبة المشركين والكفار ، لأجل دنياهم ، أو لأجل قراباتهم ، أو لنحو ذلك ، وضابطه أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا ، ولا يكون معها نصرة ؛ لأنه إذا كان معها نصرة على مسلم بقصد ظهور الشرك على الإسلام صار توليًا ، وهو في القسم المُكَفِّر ، فإن أحب المشرك والكافر لدنيا ، وصار معه نوع موالاة ، معه لأجل الدنيا ، فهذا محرم ومعصية ، وليس كفرًا ؛ دليل ذلك قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي ، وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ، تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) (الممتحنة / ١) ، قال علماؤنا – يرحمهم الله تعالى – : أثبت الله جل وعلا في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين والكفار أولياء بإلقاء المودة لهم وذلك كما جاء في الصحيحين ، وفي التفسير في قصة حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ المعروفة حيث إنه أرسل بخبر رسول الله ، – وهذه عظيمة من العظائم – للمشركين لكي يأخذوا حِذْرهم من رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فلما كُشِفَ الأمر ، قَالَ عُمَرُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – للنبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ ، قال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " يَا حَاطِبُ مَا هَذَا ؟ " فدل على اعتبار القصد ؛ لأنه إن كان قصد ظهور الشرك على الإسلام ، وظهور المشركين على المسلمين ، فهذا يكون نفاقًا وكفرًا ، وإن كان له مقصد آخر فله حكمه .

قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – – مستبينًا الأمر – " يَا حَاطِبُ مَا هَذَا ؟ " قال : (مَا فَعَلْتُ كُفْرًا ، وَلاَ ارْتِدَادًا ، وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ ، ولكن ما من أحد من أصحابك إلا وله يد يحمي بها ماله في مكة ، وليس لي يدٌ أحمي بها مالي في مكة) ، ثم بيَّن العلة فقال : (يَا رَسُولَ اللهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي) . قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لَقَدْ صَدَقَكُمْ " . (خ / ٣٠٠٧ ، م / ٦٥٥٧) .

س٦٩ : ما أصل الموالاة مع الشرح ؟

ج : الموالاة أصلها من الولاية أي المحبة والنصرة والبراءة من المشركين وعداوتهم وبغضهم (هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ) (الكهف / ٤٤) فأصل الموالاة المحبة والمودة ، ولهذا استدل بآية (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ....) (المجادلة / ٢٢) ففسر الموالاة بأنها (الموادة) ومعناه : أن أصل الموالاة في القلب وهو محبة الشرك أو أهل الشرك فأصل الدين : أن من دخل في (لا إله إلا الله) فإنه يحب هذه الكلمة وما دلت عليه من التوحيد وأهلها ، ويبغض الشرك وما دل عليه ويبغض أهله ، فإذا أحب القلب الشرك صار مواليًا للشرك ، وإذا أحب أهل الشرك صار مواليًا لأهل الشرك (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) (المائدة / ٥٥) .

س٧٠ : ما معنى (حاد) ؟

ج : معنى (حاد) : معنيان :

١ – من الحد : وهو كون الإنسان في مكان ينفصل عن الآخر .

٢ – من الحديد : فيكون المعنى : هؤلاء الكفار المبغضون الذين ليس بيننا وبينهم إلا الحديد ، والحديد كناية عن آلة الحرب التي هي السيف والرمح .

س٧١ : ما معنى قول المصنف – يرحمه الله – : والدليل قوله تعالى : ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (المجادلة / ٢٢)) إلى آخر الآية ؟

ج : إن في هذه الآية عدة دلالات من :

(لا تجدُ قومًا) : (قومًا) نكرة في مساق النفي ؛ لأن كلمة تجد أتت مرفوعة فإذا أتت كذلك دل على أنه للنفي لا للنهي ، والنفي أبلغ من النهي في مثل ما نحن بصدده ، كما قرره اللغويون وأهل التفسير ، (قومًا) نكرة في مساق نفي فدلت على العموم أي : أي قوم سواءً أكانوا بعداء أم قرباء ، سواء أكانوا من المعروفين لديك أم من غير المعروفين .

(يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ..) إلى آخره : معناها ظاهر واضح بما سبق .

ثم بين الله سبحانه وتعالى ما يظفر به هؤلاء المؤمنون الذين يبغضون الكافرين ولو كانوا أبًا أو أخًا أو ابنًا أو عشيرةً أو قبيلةً يرفع الإنسان عقيرته فخرًا بهم عند العرب فإنه يبغضهم ، بين الله سبحانه وتعالى فضل هؤلاء القوم في الدنيا ، وفي الآخرة وما يأتيهم من العطاء .

أما في الدنيا فيتحصلون على شيئين :

أما الشيء الأول : فقول الله تعالى : (أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ) (المجادلة / ٢٢) (كَتَبَ) من الكَتْب ، والكَتْب في اللغة هو الجمع على وجه صحة ، ولذلك يقال : اجتمعت كتيبة الإسلام لمقاتلة الكافرين ، ففيها معنى الجمع ؛ ولكن على وجه صحة أي : جمع الله في قلوبهم الإيمان وجعله راسخًا ثابتًا ، ولذاك عادوا الكفار وإن كانوا قرباء منهم .

وأما الشيء الثاني : الذي يظفر به هؤلاء في دنياهم : فقول الله تعالى : (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) بروح أي : بنور وهدى ، ومدد إلهي منه سبحانه وتعالى ، وإنما ذكر سبحانه قوله (بروح) أن هذا المدد والهدى والنور الذي يؤتاه صاحب هذه الحالة من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين وإن كانوا أقرب الأقربين هو روح له ، فجسد لا روح فيه ، ولا نفع منه هو ميت ، ولذلك جعل ذلك في مقام الروح ، وهذا من أعظم التعبيرات وأحسنها وأدلها على المقصود .

وأما ما يأتيهم من العطاء في الآخرة : فبقية ما جاء في الآية .

فأول العطاءات : قوله سبحانه : (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) وهذا أول العطاء فيدخلون الجنات لا جنة واحدة .

وأما العطاء الثاني : فقوله سبحانه (خَالِدِينَ فِيهَا) أي : أنهم لا يخرجون من الجنة ، وهذا تثبيت للنعمة عند حيازها ؛ لأن المرء إذا حاز نعمة طلب تثبيتها ، فجاءت الآية مبينة حوز النعمة لأولئك الموصوفين ، ثم مبينة لثبات هذه النعمة بعد حوزتها .

وأما ثالث العطاءات : فقوله سبحانه : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) وهذا عطاء ثالث وهو رضا الله عن عبده .

وأما العطاء الرابع : فقوله سبحانه (وَرَضُوا عَنْهُ) ، وما ذلك إلا لتمام العطاء الذي أُعطوه حتى سبب القناعة ، وليس القناعة فقط بل أعلى منها وهو الرضى عن العطاء ، وهذه حالة تقع للإنسان عند وقوع تمام العطاء .

وأما العطاء الخامس : فوصفهم بأنهم (الْمُفْلِحُونَ) ، والفلاح يقع للإنسان في مسيرته في أولاه وفي أخراه ، فهو إن وصف الإنسان به في أخراه كان عطاء ، لأن الفلاح يوجب له العطاء ، والعطاء هو الذي لا عين رأته ولا أذن سمعت به ولا خطر على قلب صاحبه .

ثم وصف الله عز وجل أولئك الصنف بأنهم (حِزْبُ اللَّهِ) فهؤلاء أصحاب حزب ، وهم من تحزبوا واجتمعوا على ما يرضي الله – سبحانه وتعالى – فيوصفون بأنهم حزب الله وأنهم تحزبوا على الإيمان وما يرضي الله – سبحانه وتعالى – .

وأكد الله فلاحهم بقوله (إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ) ثم قوله : (الْمُفْلِحُونَ) دخلت (أل) على معنى الفلاح ، وهذا من التأكيد العظيم لفلاح القوم نسأل الله عز أن نكون من أولئك .

س٧٢ : هل للولاء والبراء مسمى آخر ؟

ج : (الولاء والبراء ، والموالاة والمعاداة ، والحب والبغض في الله) الثلاثة بمعنى واحد .

س٧٣ : اذكر بعض مظاهر الموالاة ؟

ج : ١ – الرضا بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم .

٢ – التشبه بعاداتهم وأخلاقهم وتقاليدهم .
٣ – الاستعانة بهم واتخاذهم أعوانًا وأنصارًا .

٤ – معاونتهم ومناصرتهم .
٥ – مشاركتهم في أعيادهم إما بالحضور أو بالتهنئة .

٦ – مجاملتهم ومداهنتهم في الدين .
٧ – استعارة قوانينهم ومناهجهم في حكم الأمة وتربية أبنائها .

وللمزيد يراجع كتاب (الولاء والبراء في الإسلام) لمحمد بن سعيد القحطاني .

س٧٤ : مَنْ رؤوس الأقارب ؟

ج : أربعة أصناف :

١ – أصول الإنسان (أباؤه وإن علوا) .
٢ – الفروع (الأولاد) .

٣ – الأعوان (إخوان الإنسان) .
٤ – عشيرة الإنسان (وهم أقاربه الذين يتكثَّر بهم) .

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات / ٥٦) .
وَمَعْنَى (يَعْبُدُونِ) : يُوَحِّدُونِ ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ ، وَهُوَ : إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ . وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ ، وَهُوَ : دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا) (النساء / ٣٥) .

س٧٥ : ما معنى (أرشدك) ؟

ج : ضد الغواية – وتفسير الشيء بضده جرى عليه عمل جمع من اللغويين .
أو يقال : أرشدك أي دلَّك وهداك إلى الرشد – والرشد : هو الاستقامة على طريق الحق وهو ضد الغي .

س٧٦ : ما معنى الحنيفية ؟

ج : الحنيفية التي كلٌ يتمنى الانتساب إليها وكلٌ يسعى إلى الاتصاف بها : هي ملة إبراهيم ، وهي التي من رغب عنها فقد سفه نفسه ، كما قال الله جل وعلا : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) (البقرة / ١٣٠) أي خسرها وأهملها ، والدليل على أن ملة إبراهيم هي الحنيفية قوله تعالى : (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران / ٩٥) وقوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل / ١٢٠) فملة إبراهيم هي الحنيفية التي جاء بها النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مجددًا لها وداعيًا إليها .
والحنيفية في الأصل مأخوذة من : حنف ، وهو الميل من الضلال إلى الاستقامة ، ويقابلها الجنف ، وهو الميل من الاستقامة إلى الضلال .

س٧٧ : ما مميزات الحنيفية ؟

ج : للحنيفية عدة مميزات وخصائص منها :
١) أن يعبد الله تعالى وحده فلا يشرك معه أحد في عبادته ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وهذا هو أصل دعوات الأنبياء و زبدة رسالاتهم .
٢) الإخلاص : وهو التصفية والتنقية ، وحقيقته : أن يقصد المرء بعبادته وجه الله تعالى وحده ، والفوز بالجنة ، والإخلاص ليس شرطًا ابتدائيًا وإنما هو شرط تتابعي واستمراري ، فليس المهم أن يبدأ العمل بالإخلاص ، ولكن المهم الأهم أن يستمر هذا الإخلاص ويدوم إلى نهاية العمل .
٣) أمر الله تعالى جميع الناس بها ، قال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة / ٥) .
٤) خلق الله تعالى الخلق لها قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات / ٥٦) .

٥) هي حق الله تعالى على العبيد ، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ أَخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ : " يَا مُعَاذُ ! " قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثمَّ قَالَ : " يَا مُعَاذُ ! " قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : " يَا مُعَاذُ ! " قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ : " هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا " ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : " يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ! " قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ، فَقَالَ : " هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ . (خ / ٥٩٦٧) .

س٧٨ : ما معنى : (الطاعة) ، (الحنيفية – الملة) وما الفرق بينهما ؟

ج : طاعة الله : لزوم ما يرضيه ، ويدخل فيه : فعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات .

الحنيفية : الحنف : الميل ، وتأتي على معنيين :

١ – الميل على ما قرره اللغويون .

٢ – الاستقامة كما ذكره جملة ، منهم (ابن القيم) ، وعليه فإن توجيه قول المصنف أن الحنيفية ملة إبراهيم : أي أن ملة إبراهيم هي الطريقة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها .

والملة : هي الشرعة والنحلة في المعنى اللغوي وهو مقصود .

والفرق بينهما : يكون من الناحية اللغوية فقط ، أما في الاصطلاح فإنهما (سواء) .

س٧٩ : ما معنى العبادة لغة واصطلاحًا ؟

ج : لغة : تدل على الذل والخضوع ، وهو أصلها .

اصطلاحًا : فترجع إلى معنى عام وهو توحيد الله وإفراده في الذل والخضوع مع كمال الحب والطاعة . وعرَّفها ابن تيمية – يرحمه الله – بتعريف جامع فقال : (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة) .

س٨٠ : في أي شيء تكون محاب الله ؟

ج : لا تخرج عن شيئين :

١ – الأقوال .　　٢ – الأعمال ولها ثلاث تعلقات : القلب – اللسان – الجوارح .

س٨١ : تعريف العبادة الأول اشتمل على قيود ، اذكرها ؟

ج : ثلاث قيود : ١ – التوحيد والإفراد . ٢ – الخضوع والذل . ٣ – تمام وكمال المحبة والطاعة .

س٨٢ : ما أركان العبادة ؟

ج : أركان العبادة اثنان :

الأول : كمال الحب الذي هو غايته ومنتهاه ، وهذا لا يكون إلا لله تعالى وحده ، فإنه وحده سبحانه المحبوب لذاته ، أما ما سواه فإنه يحب لعلل وأغراض ، قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ) (البقرة / ١٦٥) .

وقال النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ " (خ / ١٦ ، م / ١٧٤) .

الثاني : كمال الذل والخضوع ، والمراد به غايته ومنتهاه ، بأن لا يتذلل العبد ولا يخضع إلا لله وحده .

لذا فلا يكون عابدًا لله من أحب غيره ، ولا من تذلل وخضع لسواه ، ولهذا يقول أهل النار لألهتهم يوم القيامة : (تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِين ، إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء / ٩٨) ، مع أنهم لم يسووهم بالله لا في خلق ولا رزق ، وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم .

س٨٣ : ما أهمية العبادة ؟

ج : تتبين أهمية العبادة من الوجوه التالية :

١) إنها الغاية المحبوبة لله تعالى ، والتي من أجلها خلق الخلق ، كما قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات / ٥٦) .

٢) إنها الغاية التي من أجلها أرسل الله تعالى جميع الرسل ، ليرشدوا الناس إلى معرفة الطريق الموصل إليها ، قال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل / ٣٦) .

٣) أنه ألزم بها رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حتى يأتيه اليقين كما قال تعالى : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) (الحجر / ٩٩) .

٤) وصف الله تعالى ملائكته وأنبيائه بها ، فقال تعالى : (وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) (الأنبياء / ١٩) .

٥) ذم الله تعالى المستكبرين عنها بقوله : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر / ٦٠) .

س٨٤ : ما شروط قبول العبادة أو ما الأصلان اللذان تقوم العبادة بهما ؟

ج : العبادة لا تقبل إلا بشرطين :

١ – الإخلاص لله .   ٢ – المتابعة للرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (العبودية / ١٧٠) : (وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد إلا الله ، ولا نعبده إلا بما شرع ، لا نعبده بالبدع ، كما قال تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف / ١١٠) .

وذلك تحقيق الشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمدًا رسول الله ؛ ففي الأولى : أن لا نعبد إلا إياه ، وفي الثانية : أن محمدًا هو رسوله المبلغ عنه ؛ فعلينا أن نصدق خبره ، ونطيع أمره .

فمن أراد عبادة الله فلابد له من توفر الشرطين ولسان حاله يقول : (إياك أريد بما تريد) .

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى :(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) (الملك / ٢) .

قال : أخلصه وأصوبه .

قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه ؟

قال : إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

فإذا فُقِد الشرطان أو أحدُهما بطلت العبادة .

س٨٥ : عرِّف الإخلاص لغة واصطلاحًا ؟

ج : الإخلاص لغة : ضد كل ما شيب بشوب – أي لم يعكره شيء دخيل عليه .

اصطلاحًا : مطلق التجرد أو تجريد العبادة لله .

ومراد المصنف : تجريد العبادة لله فلا يشوبها شائبة شرك أكبر أو أصغر لا جلي ولا خفي .

س٨٦ : ما تعريف (الدِّين) ، و ما أقسامه ؟

الدِّين : لغة : ما يدان به .

اصطلاحًا : ما أمرنا الله به في كتابه أو على لسان رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مما أُمرنا به .

وأما أقسامه ، فقد قَسَّم جماهير المتكلمين في المعارف الدين إلى قسمين : أصول وفروع .

ويقصدون بالأصول : ما ثبت بأدلة قطعية ، وبالفروع : ما لم يكن من أصول الدين ، كالصلاة والزكاة والحج .

س٨٧ : وهل هذا التقسيم صحيح ؟

ج : ما قرره شيخ الإسلام إن هذه القسمة ليست صحيحة مطردة لأن من فروع الدين ما هو قطعي الثبوت ، ومن أصول الدين ما هو ظني الثبوت مما يدخله الناس في العقائد .

س٨٨ : ما معنى التوحيد في اللغة ؟

ج : التوحيد لغة : مصدر وحد يوحد ، أي جعل الشيء واحدًا فمادة (وَحَدَ) تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله ، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه ، " واحد وَحِد ووَحْد ووحيد أي : منفرد ، فالله تعالى واحد أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال . وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات ، نفي الحكم عما

سوى الموحد وإثباته له فمثلاً نقول : إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده .

فكذلك وحدته : أي علمته واحدًا ، منزها عن المثل في الذات والصفات " .

وقال الجرجاني : " التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد ، والعلم بأنه واحد " . وقال العيني والقسطلاني : " ومعنى وحدت الله : اعتقدته منفردًا ، وتقول العرب : فقولهم : وحَّدت الله : من باب عظمت الله ، وكبرته ، أي علمته عظيمًا وكبيرًا .

والخلاصة أن التوحيد في اللغة يأتي على معنيين : الأول : جعل المتعدد واحدًا بنفي الحكم عما سوى الموحَّد وإثباته له ، والثاني : اعتقاد الشيء واحدًا ، وهذا بمعنى النسبة إلى الوحدانية ، وليس في هذا تصيير أو جعل .

س٨٩ : ما أقسام التوحيد ؟

ج : اعلم أن التوحيد الذي بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ينقسم إلى أقسام ثلاثة حسب استقراء النصوص من الكتاب والسنة وحسب واقع المكلفين :

القسم الأول : توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه ، وهو الإيمان بأنه الخالق ، الرازق ، المدبر لأمور خلقه ، المتصرف في شؤونهم في الدنيا والآخرة ، لا شريك له في ذلك ، كما قال تعالى : (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الرعد / ١٦ ، الزمر / ٦٢) ، وقال سبحانه : (رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) (يونس / ٣) ، وهذا النوع قد أقر به المشركون عباد الأوثان ، وإن جحد أكثرهم البعث والنشور ، ولم يدخلهم في الإسلام لشركهم بالله في العبادة وعبادتهم الأصنام والأوثان معه سبحانه وعدم إيمانهم بالرسول محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

القسم الثاني : توحيد العبادة ، ويسمى توحيد الألوهية ، وهي العبادة وهذا القسم هو الذي أنكره المشركون فيما ذكر الله عنهم سبحانه بقوله : (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (ص / ٤ – ٥) وأمثالها كثير ، وهذا القسم يتضمن إخلاص العبادة لله وحده ، والإيمان بأنه المستحق لها ، وأن عبادة ما سواه باطلة . وهذا هو معنى لا إله إلا الله ؛ فإن معناها لا معبود بحق إلا الله ، كما قال الله عز وجل : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) (الحج / ٦٢)

القسم الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله العزيز وفي السنة الصحيحة عن رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، من أسماء الله وصفاته ، وإثباتها لله سبحانه على الوجه الذي يليق به ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، كما قال الله سبحانه : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)) (الإخلاص) ، وقال سبحانه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى / ١١) ، وقال عز وجل : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف / ١٨٠) ، وقال سبحانه : (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (النحل / ٦٠) والآيات في هذا المعنى كثيرة ،

والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى الذي لا نقص فيه ، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من أصحاب الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) .

س٩٠ : ما الفرق بين توحيد الألوهية و توحيد الربوبية ؟

ج : هذه الفروق مهمة جدًا للتمييز بين هذين القسمين من أقسام التوحيد :

١) من حيث الاشتقاق : فالربوبية مشتقة من اسم الله (الرب) ، وأما الألوهية فمشتقة من اسم (الإله) .

٢) من حيث التعلق : فمتعلق الربوبية بالأمور الكونية القدرية كالخلق والرزق إلخ ، وأما متعلق الألوهية بالأمور الشرعية من الأوامر والنواهي .

٣) من حيث الإقرار : فالربوبية قد أَقَرَّ به المشركون ، وأما الألوهية فقد جحدوه ورفضوا الإقرار به .

٤) من حيث المدلول : فالربوبية مدلوله علمي خبري ، وأما الألوهية فمدلوله عملي .

٥) من حيث الاستلزام والتَضَمُّن : فالربوبية يستلزم توحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية .

٦) من حيث الحكم : من أقر بتوحيد الربوبية فقط فإن هذا الإقرار لا يُدخِل صاحبه إلى الإسلام ، بعكس توحيد الألوهية فإن الإيمان به يدخل في الإسلام .

٧) من حيث المعنى : فإن توحيد الربوبية يعني توحيد الله تعالى بأفعاله ، وأما توحيد الألوهية فيعني توحيد الله بأفعال عباده .

س٩١ : أي أنواع التوحيد قصده المؤلف ؟ ولماذا ؟

ج : قصد توحيد العبادة : ولذلك لعلتين :

١ – أنه التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأرسلوا للدعوة إليه .

٢ – لأن المشركين الكافرين إبان بعثة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كانوا مُقِرِّين في الجملة بروببية الله ولكنهم كانوا مشركين في العبادة .

س٩٢ : ما أعظم ما أمر الله تعالى به ؟

ج : أجاب المؤلف – يرحمه الله – بأن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد ، وعَرَّفه بأنه : إفراد الله بالعبادة .

ويلاحظ هنا أن المؤلف – يرحمه الله تعالى – اقتصر بتعريفه للتوحيد على أحد أقسامه الثلاثة وهو توحيد الألوهية لعظمته ، ولأنه محل النزاع بين الرسل وأقوامهم المعاندين ، وإلا فإن التوحيد في حقيقته أعم وأشمل من هذا ، فالله تعالى لا يُوَحَّد بأفعال العباد فحسب ، وإنما يُوَحَّد بأفعاله وأسمائه وصفاته ، ولهذا فإن هذا الأمر بحاجة إلى بعض التفصيل والبيان .

فمن المعلوم أن التوحيد أنواعه ثلاثة ، وما ذكره المؤلف يخص بعض أفراده ولهذا بَيَّن أهل العلم ممن قاموا بشرح كتب المؤلف – يرحمه الله – خاصة كتاب الثلاثة الأصول ، وكتاب كشف الشبهات – والتي يذكر فيهما

المؤلف تعريف التوحيد بالشكل المذكور آنفًا – مراد الشيخ وما يقصده ويرمي إليه من وراء هذا التعريف ، وإليك البيان :

١) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في (شرح ثلاثة الأصول / ٣٣) : (وفي الاصطلاح عرفه المؤلف بقوله : " التوحيد هو إفراد الله بالعبادة " أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا ، لا تشرك به نبيًا مرسلاً ، ولا ملكًا مقربًا ولا رئيسًا ولا ملكًا ولا أحدًا من الخلق ، بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا ، ورغبة ورهبة ، ومراد الشيخ – يرحمه الله – التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم .

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو : " إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به ...

ومراد المؤلف هنا توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – واستباح دمهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم ، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد ...) .

أقول : وذكر الشيخ العثيمين – يرحمه الله – في شرحه لكتاب كشف الشبهات مثل هذا القول ، حيث بيَّن مراد المؤلف وما يقصده من وراء تعريف التوحيد بأحد أقسامه وهو توحيد الألوهية .

٢) قال الشيخ خالد بن عبد الله المصلح في (شرح الأصول الثلاثة / ١٥) : (قال – يرحمه الله تعالى – : (وهو إفراد الله بالعبادة) هذا بيان للتوحيد ، وهو بيان لأشرف أنواعه وأعلاه ، وهو توحيد الإلهية الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم ..) .

وقال في (شرح كشف الشبهات / ٥) : (افتتح رسالته – يرحمه الله – بتعريف التوحيد فقال : التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وهذا التعريف هو لأهم أنواع التوحيد فإن أهم أنواع التوحيد هو توحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل وجاءت به الأنبياء فإن الرسل دعت إلى إفراد الله بالعبادة وإن كانت قد دعت إلى توحيد الربوبية واستدلت به وذكرته وأيضًا ذكرت توحيد الأسماء والصفات ...) .

٣) وقال سليمان بن محمد اللهيميد في (شرح الأصول الثلاثة / ١٦) : (التوحيد : عَرَّفه المؤلف بأنه إفراد الله بالعبادة) .

وهناك تعريف أعم : وهو إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات) .

٤) قال محمد بن صالح الأسمري في (شرح الأصول الثلاثة / ٥٨) : (وأراد المصنف – يرحمه الله – من أنواع التوحيد الثلاثة ، التوحيد الأول فقط ، وهو توحيد العبادة .

وإنما عنى المصنف – يرحمه الله – توحيد العبادة دون ما معه من قسمة سابقة لعلتين : –

أما العلة الأولى : فلأن توحيد العبادة هو الذي أُرْسِلَت الرسل للدعوة إليه وتقريره ، وهو الذي أنزلت الكتب لتقريره وإثباته ؛ لأن الفِطَر والعقول السليمة تستدل على ربوبية الله – سبحانه وتعالى – بدلالة هذه الفطرة السليمة وهذا العقل الراجح ، ومن ثم فإن الأعرابي الجلْف الجاهل يقول : البعرة تدل على البعير وكذلك يقال

: السماوات الشاهقات الواسعات والأرضون المنبسطات تدل على أن هناك خالقًا . فإذا قيل ذلك أُثْبِتت لله ربوبية – سبحانه وتعالى – وكذلك يقال غير الخلق من المعاني الدالة على ربوبية الله – سبحانه وتعالى – .

وأما العلة الثانية : فلأن المشركين الكافرين إبَّان بعثة سيد المرسلين عليه أفضل صلاة وأتم تسليم كانوا مُقرِّين في الجملة بربوبية الله – سبحانه وتعالى – ، ولكنهم كانوا يشركون مع الله غيره في العبادة فصرفوا شيئًا من عباداتهم لغير الله – سبحانه وتعالى – ، فلهاتين العلتين اقتصر المصنف – يرحمه الله – على توحيد الإلهية والعبادة دون أن يذكر ما معه من قسمة سابقة . أعني : توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات) .

س٩٣ : اذكر فضائل وفوائد التوحيد ؟

ج : قال عبد الله بن جار الله الجار الله في (الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد / ١٥) :

من فضائل التوحيد :

١) أنه يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه شيء وإنه إذا كان في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

٢) أن جميع الأعمال والأقوال متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد .

٣) أنَّ الله تكفَّل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية وإصلاح الأحوال .

٤) أن الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان ، شرور الدنيا والآخرة ويمن عليهم بالحياة الطيبة .

س٩٤ : لِمَ عَظَّم المصنف مقام التوحيد أمرًا ومقام الشرك نهيًا – مع الدليل ؟

ج : لأن الله عَظَّم ذلك وكذلك الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وعلى رأس ذلك دلالات ثلاث :

١ – عِظَم ذنب الشرك .

٢ – أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جعل التوحيد أول ما يُدعى الناس إليه كحديث (فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ) (خ / ١٤٥٨ م / ٢٩) واللفظ للبخاري .

٣ – ما قرره النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن التوحيد منجٍ لصاحبه ولو كان مثقال ذرة منه .

س٩٥ : عرفنا عِظَم الشرك نهيًا ؟ فما حقيقته ؟

ج : لمَّا كان الشرك أعظم ما نهى الله عنه ، لذا سأتكلم عنه بشيء من التفصيل ، قال الشيخ صالح آل شيخ في شرحه للأصول الثلاثة " بتصرف " : وحقيقة الشرك : اتخاذ الند مع الله (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أنداداً) (البقرة / ٢٢) .

والتنديد : أن تجعل لله ندًا في استحقاق التوجه (العبادة) فمن جعل لله ندًا في القول أو العمل فهو مشرك

س ٩٦ : ما أقسام الشرك مع الشرح والتوضيح ؟

أقسام الشرك : للعلماء في أقسام الشرك أنواع باعتبارات مختلفة : فمنهم من يقسمه إلى :

١ – ظاهر (جلي) . ٢ – (خفي) .

وتارة : ١ – أكبر . ٢ – أصغر .

وتارة : ١ – أكبر . ٢ – أصغر . ٣ – خفي .

وهذه التقسيمات تلتقي في نتيجة كل قسم والتعريف ، فمثلاً : الذين يقسمون الشرك إلى : جلي – خفي فيكون الجلي : (أكبر – أصغر) ، فمثلاً : (الذبح والنذر) لغير الله فهو جلي وهو أكبر ، أما (الجلي الأصغر) فمثل : الحلف بغير الله (بالتفصيلات المعروفة) أم قسيمه فهو (الخفي) فمنه ما هو : شرك أكبر ، كشرك المنافقين ، فما قام في قلوبهم من التنديد فهو شرك أكبر ولكنه خفي ، وهناك خفي أصغر مثل (يسير الرياء)

بعض العلماء يقسمون إلى :

١ – أكبر (جلي – خفي) . ٢ – أصغر (جلي – خفي) .

والأوضح أن يقسم إلى :

١ – أكبر (مثل الذبح لغير الله) ، ٢ – أصغر : (مثل الحلف بغير الله) ، ٣ – خفي (مثل يسير الرياء) .

س٩٧ : ما مفهوم الشرك ، أو حَدُّ الشرك ، أو تفسير الشرك ، وما أنواعه ووسائله ؟

ج : مفهوم الشرك : قال العلامة السعدي : (إن حدَّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد العبادة لغير الله) .

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر ، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء ، كما أن حَدَّ الشرك الأصغر هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة ، فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر .

أنواع الشرك وأقسامه :

أولاً : الشرك أنواع منها :

النوع الأول : شرك أكبر يخرج من الملة ؛ لقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا) (النساء / ٤٨) .

وقال ابن القيم في الجواب الكافي عن الشرك الأكبر : وهو أربعة أنواع :

١ – شرك الدعوة : لقوله تعالى : (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) (العنكبوت / ٦٥) .

٢ – شرك النية والإرادة والقصد : لقوله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (هود / ١٦) .

٣ – شرك الطاعة : وهي طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله تعالى ، قال سبحانه : (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة / ٣١) .

٤ – شرك المحبة : لقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) (البقرة / ١٦٥) .

وقال ابن القيم في الجواب الكافي " بتصرف " : (وهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها وإنما ضلَّ من ضلَّ بعدم التمييز بينها) .

١ – محبة الله : ولا تكفي وحدها فإن المشركين واليهود يحبون الله .   ٢ – محبة ما يحبه الله .

٣ – الحب لله وفيه .   ٤ – المحبة مع الله : وهي المحبة الشركية إذا كانت لا لله ولا فيه ولا من أجله .

والخلاصة : أن الشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل : كأن يدعو غير الله ، أو يذبح لغير الله ، أو ينذر لغير الله ، أو يتقرب لأصحاب القبور، أو الجن والشياطين بشيء من أنواع العبادة ، أو يخاف الموتى أن يضروه ، أو يرجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله عز وجل .

النوع الثاني : شرك أصغر لا يخرج من الملة ومنه يسير الرياء ، قال تعالى : (فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف / ١١٠) .

ومنه الحلف بغير الله ؛ لقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " (صحيح الترمذي / ١٥٣٥) .

ومنه قول الرجل : لولا الله وأنت ، أو ما شاء الله ؛ وشئت .

ومن أنواع الشرك : شرك خفي : فعن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أن النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ له : " يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلِ الشِّرْكُ إِلاَّ مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ ، أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ ؟ قَالَ : قُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ " . (صحيح الأدب المفرد / ٥٥٤ / ٧١٦) .

وقول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ " (صحيح الترمذي / ١٥٣٥) ، قال الترمذي : فُسِّرَ عند بعض أهل العلم أن قوله : فقد كفر أو أشرك على التغليظ ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهْوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَلاَ إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ وَإِلاَّ فَلْيَصْمُتْ " . (خ / ٦١٠٨) وحديث أبي هريرة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال : " مَنْ حَلَفَ

مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ " (خ / ٦١٠٧) .

ولعل الشرك الخفي يدخل في الشرك الأصغر فيكون الشرك شركان : شرك أكبر وشرك أصغر ، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم – يرحمه الله – .

أسباب ووسائل الشرك :

حذَّر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من كل ما يوصل إلى الشرك ويسبب وقوعه ، وبيَّن ذلك بيانًا واضحًا ، ومن ذلك على سبيل الإيجاز ما يأتي :

١ – الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى ، فقد كان الناس منذ أُهبِطَ آدم عليه السلام إلى الأرض على الإسلام ، ودليل ذلك : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ : (كَانَ بَيْنَ آدَمَ ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ) . (السلسلة الصحيحة /٣٢٨٩) .

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين ، ودب الشرك في الأرض ، فبعث الله نوحًا عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده ، وينهى عن عبادة ما سواه ، وردّ عليه قومه : (وَقَالُواْ لا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (نوح / ٢٣) .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وُدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَا وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لآلِ ذِي الْكَلاَعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ . (خ / ٤٩٢٠) وهذا سببه الغلو في الصالحين ؛ فإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبور ، ويُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين ، وأن الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها ، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله ، واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه الستور ، ويطاف به ، ويستلم ويُقَبِّل ، ويذبح عنده ، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة : وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا ، ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تَنَقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين ، وعند ذلك يغضبون .

ولهذا حذّر الله عباده من الغلو في الدين ، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد ، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى ، كما قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) (النساء / ١٧١) .

٢ – الإفراط في المدح والتجاوز فيه ، والغلو في الدين : حذّر رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن الإطراء فقال : " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله "

(رواه البخاري) . وقال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه " . (خ / ٣٤٤٥) .

٣ – بناء المساجد على القبور ، وتصوير الصور فيها : حذَّر – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن اتخاذ المساجد على القبور ، وعن اتخاذها مساجد ؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم ؛ ولهذا لَمَا ذكرت أُمُّ حَبِيبَةَ وَأُمُّ سَلَمَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما – لرسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ قال : " إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . (خ / ٤٢٧) .

٤ – اتخاذ القبور مساجد : حذّر – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أمته عن اتخاذ قبره وثنًا يُعبد من دون الله ، ومن باب أولى غيره من الخلق ، ومن حرص النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على أمته أنه عندما نزل به الموت قال : " لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ " . قالت عائشة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – : يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا . (خ / ٤٣٥ و٤٣٦) . وقال قبل أن يموت بخمس : " أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ " . (م / ١٢١٦) .

٥ – الجلوس على القبور والصلاة إليها : لم يترك – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بابًا من أبواب الشرك التي تُوصِّل إليه إلا سدَّه ، ومن ذلك قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا " (م / ٢٢٩٤) .

٦ – اتخاذ القبور عيدًا ، وهجر الصلاة في البيوت ، بيّن – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن القبور ليست مواضع للصلاة ، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء أكان بعيدًا عن قبره أم قريبًا ، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيدًا : " لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا وَصَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِى حَيْثُ كُنْتُمْ " (صحيح أبي داود / ٢٠٤٤) . فإذا كان قبر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدًا ، فغيره أولى بالنهي كائنًا من كان .

٧ – الصور وبناء القباب على القبور : كان – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يطهر الأرض من وسائل الشرك ، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور ، وطمس الصور ، فعَنْ أَبِى الْهَيَّاجِ الأَسَدِىِّ قَالَ : قَالَ لِى عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – (أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ) (م / ٢٢٨٧) .

٨ – شدّ الرّحال إلى غير المساجد الثلاثة : وكما سدّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كل باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه ، فقال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لاَ تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِى هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى "(م / ٣٣٢٥) .

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد ، وهو الذي فهمه الصحابة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم – من قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ولهذا عندما ذهب أبو هريرة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – إلى الطور ، قال :

فَلَقِيتُ بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ ، فَقَالَ أبو هريرة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قُلْتُ : مِنَ الطُّورِ ، قَالَ : لَوْ لَقِيتُكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَهُ لَمْ تَأْتِهِ ، قُلْتُ لَهُ : لِمَ ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : " لاَ تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِي ، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ " (صحيح النسائي / ١٤٣٠) . ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – في (مجموع الفتاوى ١ /٢٣٤) : (وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره ، بل ينهى عن ذلك) .

٩ – الزيارة البدعية للقبور من وسائل الشرك ؛ لأن زيارة القبور نوعان :

النوع الأول : زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم ، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة ، ولتذكر الموت – بشرط عدم شدِّ الرِّحال – ولاتباع سنة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

النوع الثاني : زيارة شركية وبدعية ، وهذا النوع ثلاثة أنواع :

أ – من يسأل الميت حاجته ، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام .

ب – من يسأل الله تعالى بالميت ، كمن يقول : أتوسل إليك بنبيك ، أو بحق الشيخ فلان ، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام ، ولا يصل إلى الشرك الأكبر ، فهو لا يُخرج عن الإسلام كما يُخرِج الأول .

ج – من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب ، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد ، وهذا من المنكرات بالإجماع .

١٠ – الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها من وسائل الشرك ؛ لِمَا في ذلك من التشبه بالذين يسجدون لها في هذين الوقتين ، قال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " وَلاَ تَحَيَّنُوا بِصَلاَتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ ، وَلاَ غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ " (خ / ٣٢٧٣) .

والخلاصة : أن وسائل الشرك التي توصل إليه : هي كل وسيلة وذريعة تكون طريقًا إلى الشرك الأكبر ، ومن الوسائل التي لم تذكر هنا : تصوير ذوات الأرواح ، والوفاء بالنذر في مكان يُعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية ، وغير ذلك من الوسائل .

س٩٨ : ما ضابط الشرك الأصغر ؟

ج : هو ما توفَّر فيه شيئان :

١ – أن يُطلق عليه اسم الشرك في الكتاب أوالسنة .

٢ – أن يُعلم من النصوص والقواعد الشرعية أنه لا يُخرج من دائرة الإسلام .

س٩٩ : هل الشرك الأصغر مما يُكفِّره الله ويدخل تحت مشيئته أم لا ؟

ج : أكثر الفقهاء والمفسرين وأهل السنة على أن الشرك الأكبر هو الذي لا يدخل تحت المشيئة فقط ، وذهب آخرون إلى أن الشرك الأصغر لا يدخل تحت المشيئة وإنما يدخل تحت تجريح أعمال الإنسان ، وتوزن أعمال الإنسان يوم القيامة فيسار إلى ما رجح من أعماله ، ثم مآله إلى الجنة لوجود التوحيد عنده .

س١٠٠ : ما الأبواب التي ولج المشركون منها إلى الشرك بالله تعالى ؟

ج : الأبواب كثيرة أهمها :

١) اتخاذ الأنداد والوسطاء لنيل القربى من الله تعالى ، كما قال الله تعالى عنهم : (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر / ٣) .

ومع هذه الحجة المتهافتة سمى الله تعالى أصحابها ومن يحتج بها كاذب كفَّار (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر / ٣) .

٢) اتخاذ الأنداد والوسطاء لنيل الشفاعة ، كما قال تعالى عنهم : (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (يونس / ١٨) .

٣) تقليد الأباء والأجداد : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) (الزخرف / ٢٣) .

وقال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ) (البقرة / ١٧٠) . وقال : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ) (المائدة / ١٠٤) .

وقال : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) (لقمان / ٢١) .

ومن المعلوم أن اتِّباع الأباء والأجداد يكون محمودًا إذا كانوا على الحق ، كما قال تعالى عن يوسف الصديق أنه قال : (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) (يوسف / ٣٨) .

س١٠١ : ما الأسباب التي يتعلق بها المشركون ؟

ج : لقد اتخذ المشركون لأنفسهم أسبابًا وتعلقوا بها يريدون بها ومن خلالها الحصول على ما يريدون ويبتغون ، ولو أننا نظرنا إلى الكتاب والسنة لرأينا أن جميع هذه الأسباب قد قُطعت بسيف الشرع ولم يبق لمتخذيها ومعتنقيها سوى الأحلام والأماني ، قال الإمام ابن القيم – يرحمه الله – في (مدارج السالكين / ١/ ٣٤٣) :

(... قد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعًا قطعًا يعلم من تأمله وعرفه : أن من اتخذ من دون الله وليًا أو شفيعًا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، فقال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (سبأ / ٢٣) فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما

يريده عابده منه فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده فنفى سبحانه المراتب الأربع نفيًا مترتبًا متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا ونجاة وتجريدًا للتوحيد وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ...) .

س١٠٢ : إنَّ مشركي زماننا أعظم شركًا من المشركين الأوائل وضح ذلك ؟

ج : لو عقدنا مقارنة بين المشركين الأوائل ومشركي هذا الزمان ، لوجدنا أن مشركي زماننا أعظم وأغلظ شركًا من الأولين وإليك البيان :

١) أن المشركين الأوائل كانوا يشركون بالله في الرخاء ويوحدونه في الشدة ، وأما مشركو زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة ، قال تعالى في الأولين : (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (يونس / ٢٢) . وقال : (إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) (العنكبوت / ٦٥) .

٢) إن المشركين الأوائل كانوا يوحدون الله في ربوبيته ، ويشركون في توحيد الإلهية ، أما مشركو زماننا فشركهم دائم في الربوبية والألوهية .

٣) إنَّ المشركين الأوائل كانوا يعرفون معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وما تدل عليه ، ولكنهم رفضوا القبول بها والانقياد لها ،

كما قال تعالى : (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (ص / ٥) .

أما مشركو زماننا فإنهم يتلفظون بها ولكن دون العلم بمعناها وما تدل عليه من مقتضيات ومستلزمات ، ولهذا وقعوا بما يضادها ويناقضها من أقوال وأفعال ، فأصبح تلفظهم بها مجرد دعوى لا مضمون تحتها .

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا ؟
فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، وَدِينَهُ ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

* * الأصل الأول * *

.. معرفة الرب ..

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ ؟
فَقُلْ : رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي ، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة / ٢) . وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ .
فَإِذَا قِيلَ لَكَ : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟
فَقُلْ : بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ : اللَّيْلُ ، وَالنَّهَارُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت / ٣٧) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف : ٥٤) .
وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاء بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السماء ماء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة / ٢١ ، ٢٢) .
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ .
وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ : الإِسْلامِ ، وَالإِيمَانِ ، وَالإِحْسَانِ ، وَمِنْهُ : الدُّعَاءُ ، وَالْخَوْفُ ، وَالرَّجَاءُ ، وَالتَّوَكُّلُ ، وَالرَّغْبَةُ ، وَالرَّهْبَةُ ، وَالْخُشُوعُ ، وَالْخَشْيَةُ ، وَالإِنَابَةُ ، وَالاسْتِعَانَةُ ، وَالاسْتِعَاذَةُ ، وَالاسْتِغَاثَةُ ، وَالذَّبْحُ ، وَالنَّذْرُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا . كُلُّهَا للهِ تَعَالَى ، وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) . فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ ؛ وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون / ١١٧) .
وَفِي الْحَدِيثِ : (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ) . وَالدَّلِيلُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر / ٦٠) .
وَدَلِيلُ الْخَوْفِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران / ١٧٥) .
وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف / ١١٠) .

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (المائدة / ٢٣) . وقوله : (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق / ٣) .

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ ، وَالرَّهْبَةِ ، وَالْخُشُوعِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء / ٩٠) .

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...) الآية (البقرة / ١٥٠) .

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...) الآية (الزمر / ٥٤) .

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة / ٥) . وَفِي الْحَدِيثِ : (... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ) .

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق / ١) . وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (الناس / ١) .

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ...) الآية (الأنفال / 9) .

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ له وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام / ١٦١– ١٦٣) . وَمِنَ السُّنَّةِ : " لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ " .

وَدَلِيلُ النَّذْرِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) (الإنسان / ٧) .

س١٠٣ : قال المصنف : (فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها) ؟ أو ما الأصول الثلاثة ؟

ج : ١ – معرفة العبد ربه . ٢ – دينه . ٣ – نبيه محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

س١٠٤ : لماذا أوردها المصنف على صيغة السؤال والجواب ؟

ج : لعلتين :

١ – لأن صيغ السؤال والجواب في التعليم من أنفع الصيغ وأرسخها تعليمًا وتدريسًا .

٢ – ولأنه فيه إيقاظ للوسنان وتتطلع الهمم والعقول لمعرفة الجواب .

س١٠٥ : عَرِّف الأصول ؟

ج : الأصول جمع أصل وهو : ما بُني عليه غيره فهو كالأساس بالنسبة للجدار .

قال الشيخ ابن عثيمين في (شرح الثلاثة الأصول / ٣٧) : (الأصول جمع أصل ، وهو ما يبنى عليه غيره ، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه ، وأصل الشجرة الذي يتفرغ منه الأغصان ، قال الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء) (سورة إبراهيم / ٢٤) . وهذه

الأصول الثلاثة يشير بها المصنف – يرحمه الله – إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟) .

س١٠٦ : ما معنى قوله : (من ربك) ؟

ج : أي من ربك وإلهك ومعبودك وخالقك ورازقك ، لأن لفظ الرب والإله من الألفاظ التي يصح أن يقال فيها (إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت) . قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرح الثلاثة الأصول / ٢٥) : (قال – يرحمه الله تعالى – : (فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) ، (معرفة العبد ربه) يعني معرفة العبد معبوده ؛ لأن الربوبية في هذا المقام يُراد بها العبودية ، لِمَ ؟ لأن الابتلاء للأنبياء والمرسلين لَمْ يقع في معاني الربوبية ، ألم ترَ أن الله جل وعلا قال ؟ : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) هذه مقتضيات الربوبية (فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) (يونس / ٣١) . المشركون في كل زمان لم يكونوا ينازعون في تَوَحُّدِ الله جل وعلا في ربوبيته ، ولهذا فسر العلماء سؤال القبر من ربك ؟ بمن معبودك ؟ لم ؟ لأن الابتلاء لم يقع في الربوبية ، وقد سئل الشيخ الإمام – يرحمه الله تعالى – عن الفرق بين الربوبية والألوهية في بعض النصوص – في أحد الأسئلة التي وجهت إليه – فكان من جوابه أن قال : هذه مسألة عظيمة ، وذلك أن الربوبية إذا أطلقت ، أو إذا أفردت فإنه يدخل فيها الألوهية؛ لأن الربوبية تستلزم الألوهية ، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية ، والألوهية تتضمن الربوبية . لأن الموحد لله جل وعلا في ألوهيته هو ضمنًا مقر بأن الله جل وعلا هو واحد في ربوبيته ، ومن أيقن أن الله جل وعلا واحد في ربوبيته استلزم ذلك أن يكون مقرًا بأن الله جل وعلا واحد في استحقاق العبادة ، ولهذا تجد في القرآن أكثر الآيات فيها إلزام المشركين بما أقروا به ألا وهو توحيد الربوبية على ما أنكروه ألا وهو توحيد الإلهية ، من مثل قول الله جل وعلا في سورة الزمر (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) هذا توحيد الربوبية قال بعدها (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (الزمر / ٣٨) ، قال (قُلْ أَفَرَأَيْتُم) والفاء هنا رتبت ما بعدها على ما قبلها ؛ وما قبلها هو توحيد الربوبية وما بعدها هو توحيد الإلهية .

ولهذا في القرآن يكثر أن يحتج على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على ما أنكروه ألا وهو توحيد الإلهية ، لهذا قال جل وعلا (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران / ٨٠) المعنى بـ (أَرْبَابًا) أي معبودين وكذلك قوله تعالى : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (التوبة / ٣١) ، يعني معبودين لأن عَدِيَّ بن حَاتِمٍ لما قال للنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ . ففهم معنى الربوبية في الآية معنى العبادة ، وهذا هو الذي يفهمه من يعرف اللسان العربي ،

فلما قَالَ : أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ . قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ " . (السلسلة الصحيحة / ٣٢٩٣) إذن

الربوبية تطلق ويراد منها العبودية في بعض المواضع ، تارة بالاستلزام ، وتارة بالقصد . وبعض علمائنا قال إن لفظ الألوهية والربوبية يمكن أن يُدخل في الألفاظ التي يقال إنها إذا اجتمعت تفرقت وإذا تفرقت اجتمعت " .

س١٠٧ : بماذا تجيب إذا ما سئلت : من ربك ؟

ج : أجاب المؤلف – يرحمه الله – بقوله : (فقل : ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه هو معبودي ليس لي معبود سواه والدليل قوله تعالى : (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (سورة الفاتحة / ٢) .
وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم ...) .
قال الشيخ ابن عثيمين في (شرح الثلاثة الأصول / ٤٠) : (ويشعر كلام المؤلف – يرحمه الله – أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال : (الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه) فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له ، وأمدهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون : (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه / ٤٩– ٥٠) . فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمه .
ثم قال : استدل المؤلف – يرحمه الله – لكون الله سبحانه وتعالى مربيًا لجميع الخلق بقوله تعالى : (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة / ٢) يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده .
(رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي مربيهم بالنعم ، وخالقهم ومالكهم ، والمدبر لهم كما شاء عز وجل)) .

س١٠٨ : للربوبية معانٍ ، فأي معنى قصد المصنف ؟

ج : قصد معنى واحدًا وهو (التربية) .

س١٠٩ : ما معنى (التربية) ؟

ج : هي إنشاء الشيء حالاً فحال إلى الكمال .
وقالوا : هي الرعاية التي يكون بها تقويم المربى والأخذ به في طريق النضج والكمال .
قال الشيخ علي بن حسن الحلبي : وصفوة القول أن كلمة التربية تطلق في اللغة على النماء والزيادة والرفعة .
وتطلق أيضًا على التنشئة والتغذية ، والتغذية أعم من أن يكون الغذاء ماديًا أو معنويًا .
ويمكن بعد هذا التحليل استخلاص النتائج التالية للمعنى التربوي :
١) إنَّ المربي الحق على الإطلاق هو الله تعالى ، لأنه الخالق ، خالق الفطرة ، وواهب المواهب ، وهو الذي سنَّ سننًا لنموها وتدرجها وتفاعلها ، كما أنه شرع شرعًا لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها ....
٢) إنَّ التربية لابد أن تستضيء بنور الشريعة الإلهية وتسير وفق أحكامها وصلاحها .
٣) إنَّ التربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وغايتها .
٤) إنَّ التربية تقتضي خططًا متدرجة يترتب بعضها على بعض ، وينبني بعضها على بعض ، فكل منها قائم على ما سبقه ، يُعِدُّ لما بعده ......

والمعنى الاصطلاحي للتربية هو : العمل بمختلف الأساليب والوسائل التي لا تتعارض مع شرعة الإسلام على رعاية الإنسان وتعهده حتى يصير سيدًا في هذه الأرض ، سيادة محكومة بالعبودية التامة لله رب العالمين .

وهذا كله يجعلنا نقف بجلاء ووضوح على حقيقة التربية ، وآثارها ، وأن ذلك ينتظمه ثلاثة أصول :

الأول : أنَّ التربية يجب أن تركز على بعث عقيدة التوحيد وتطهير حياة الأمة من البدع والانحرافات كمقدمة لتأهيل الأمة لحمل الإسلام مرة ثانية .

الثاني : أن مقياس التربية السليمة هو قيامها على أصول مستمدة من القرآن والسنة ، وانسجامها مع تطبيقات السلف ، وإعادة توصيل المُتَعَلِّم بالقرآن والسنة دون حاجة لوسطاء في الفهم والاستنباط .

الثالث : أن التربية لا يمكن فصلها عن التوجيه العام للمجتمع ، وهي ترتبط بالحياة اليومية وما يتفاعل خلالها من المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والممارسات الإدارية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك .

فمن فَهِم هذا التأصيل ووعاه عرف بصدق معنى التربية وحقيقتها ، وأيقن أن التربية التي نريد هي : تربية الجيل الناشئ على الإسلام المصفى من كل ما ذكرنا، تربية صحيحة منذ نعومة أظفاره دون التأثر بالتربية الغربية الفاجرة.

س١١٠ : ما المقصود بقول المصنف (بِنِعَمِه) ؟

ج : النعم نوعان :

١ – محسوسة (المادية) أي ما يحس بالحواس الخمس كالرزق .

٢ – معنوية ، الإيمان وحسن القصد (النية) .

س١١١ : دَلَّ قول المصنف (فإذا قيل لك من ربك .. إلى قوله : ليس لي معبود سواه) على دلالتين فما توضيح ذلك ؟

ج : ١ – أن توحيد الربوبية يستدل به على توحيدالألوهية ، ويستلزم من الربوبية الألوهية .

٢ – معرفة الله يقصد بها شيئان : أ – إثبات وجود الله . ب – توحيد الله .

س١١٢ : ما حقيقة الإيمان بالله أو (معرفة الله تقوم على أربعة أشياء هي حقيقة الإيمان بالله فما حقيقة الإيمان بالله) ؟

ج : ١ – إثبات وجود الله . ٢ – توحيد الله في ربوبيته .

٣ – في ألوهيته . ٤ – في أسمائه و صفاته .

س١١٣ : ما معنى : (الحمد) ؟

ج : عرَّفه شيخ الإسلام فقال : هو الإخبار عن صفة المحمود على وجه المحبة والتعظيم ، فلابد من اجتماع شيئين : ١ – الإخبار عن صفات المحمود . ٢ – على وجه المحبة وتعظيم .

س١١٤ : ما معنى : (عالم) ؟

ج : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وهو : ١ – إما أن يكون علامة على غيره ، فاشتق من هذا المعنى لفظ عالم .

٢ – وإما أن يكون من العلم فاشتق من العلم (إما من العلامة وإما من العلم) .

س١١٥ : ماذا تقول إذا سئلتَ : بِمَ عرفت ربك ؟

ج : قال المؤلف – يرحمه الله – : (فقل : بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما ، والدليل قوله تعالى : (وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت / ٣٧) .

وقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) . (الأعراف / ٥٤) .

س١١٦ : ما معنى قول المصنف (بآياته) ؟

ج : الآية أصلها في اللغة (العلامة) وفسرها المفسرون بنوعين :

١ – آيات كونية ، كالسماء والأرض والشمس والقمر .

٢ – آيات مقروءة في كتاب الله ، ويعبر عنها بعضهم فيقول : هي الآيات الدينية الشرعية .

س١١٧ : قول المصنف : (بآياته ومخلوقاته) فهل يقصد بالعطف مغايرة المعطوف) وضِّح ذلك ؟

ج : احتمالان :

١ – أن تكون الواو على حقيقتها وحقيقتها تقتضي المغايرة فيقال : (الآيات هي الدلائل والحجج) والمخلوقات (ما خلقه الله كالسماء والأرض وغيرهما) .

٢ – لا يقصد به المغايرة وإنما هو من عطف خاص على عام ويقتضي تأكيد الخاص ولفت الذهن إليه .

س١١٨ : أي الاحتمالات أقوى ؟ ولماذا ؟

ج : الاحتمال الثاني أقوى ، ويقويه شيئان :

١ – أن المصنف ذكر أمثلة على الآيات (الليل والنهار) وعلى المخلوقات (السموات والأرض) وهذا يأتي على المعنى السابق .

المقوي الثاني : ٢ – ما ذكره المصنف من أدلة يستدل بها ففيها عدم التفريق بين الآيات والمخلوقات وساقها مساقًا يدل بعضه على بعض .

والخلاصة : (أن الآيات بمعنى المخلوقات ، والمخلوقات بمعنى الآيات الكونية) .

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في (شرح الثلاثة الأصول / ٢٩) : (والشيخ – يرحمه الله – ها هنا فرق بين الآيات والمخلوقات ، مع أنه في القرآن ما يثبت أن السماوات والأرض من الآيات . فلم فرَّق ؟ الجواب أن تفريق الشيخ – يرحمه الله تعالى – بينهما دقيق جدًا ، وذلك أن الآيات جمع آية ، والآية هي البينة الواضحة الدالة على المراد ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) (الشعراء / ١٩٠) يعني دلالة بينة واضحة على المراد منها ، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) (الحجر / ٧٥) يعني لدلالات واضحات بينات على المراد منها ، وهنا ننظر إلى أنه بالنسبة لمن سئل هذا السؤال ، كون الليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه عند هذا المسؤول أو المجيب من السموات والأرض ، لم ؟ لأن تلكمُ الأشياء التي وصفت بأنها آيات متغيرة متقلبة ، تذهب وتجيء ، أما السماء فهو يصبح ويرى السماء ، ويصبح ويرى الأرض ، فإلفُه للسماء وللأرض يحجب عنه كون هذه آيات ، لكن الأشياء المتغيرة التي تذهب وتجيء ، هذه أظهر في كونها آية ، ولهذا إبراهيم الخليل – عليه السلام – طلب الاستدلال بالمتغيرات ، قال جل وعلا (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) (الأنعام / ٧٥– ٧٦) ، لم ؟ لأنه استدل بهذه الحركة على الحدوث ، استدل بهذا التنقل على أنه آية لغيره ، فلما رأى القمر بازغًا استدل بالقمر ، فلما رأى الشمس بازغة استدل بالشمس لأنها متغيرات ، أما السماوات والأرض فهي آيات ، لكنها في الواقع عند الناظر ليست مما يدل دلالة ظاهرة واضحة على المراد عند مثل المسؤول هذا السؤال، مع كونها عند ذوي الفهم وذوي الألباب العالية أنها آيات ، كما وصفها الله جل وعلا في كتابه ، الشمس والقمر والليل والنهار متغيرات تقبل وتذهب ، فهي آيات ودلالات على الربوبية ، وأن هذه الأشياء لا يمكن أن تأتي بنفسها ، لكن السماء ثابتة ، الأرض ثابتة ينظر إلى هذه وهذه ، وتلك متغيرات والتغير يثير السؤال ، لِمَ ذهب ؟ ولِمَ جاء ؟ لِمَ أتى الليل ؟ ولِمَ أتى النهار ؟ لِمَ زاد الليل ؟ ولِمَ نقص النهار ؟ وهكذا فهي في الدلالة أكثر من دلالة المخلوقات مع أن في الجميع دليلا ودلالة ، لهذا قال :

(فإذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ قل بآياته ومخلوقاته) فالآيات تدل على معرفة الله والعلم بالله ، وكذلك المخلوقات تدل على العلم بالله والمعرفة بالله ، لكن ما سمّاه آيات أخص مما سمّاه مخلوقات ...) .

س١١٩ : ما معنى قول المؤلف : (الرب هو المعبود) ؟

ج : استدل المؤلف – يرحمه الله – بأن الرب – الذي هو الإله والخالق والمعبود والرازق – هو المستحق للعبادة ، واستدل بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة / ٢١ – ٢٢) . قال ابن كثير – يرحمه الله تعالى – : (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) .

وإنما قيل بأن كلمة المعبود بمعنى المستحق للعبادة لدلالتين ظاهرتين : –

أما الدلالة الأولى : فما ذكره المصنف – يرحمه الله – بعد من قول لابن كثير – يرحمه الله – وهو قول ابن كثير – يرحمه الله – : (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) ، فنص على كلمة المستحق في قوله : (المستحق للعبادة) المفهمة لمعنى الاستحقاق في قول المصنف يرحمه الله : (هو المعبود) أي المستحق للعبادة .

وأما الدلالة الثانية : فما أورده من آية بعد ، وفي آخرها قول الله تعالى : (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا) . وهذا قطع لأسباب الشرك وحقائقه ، فدل على أن الله هو الموحَد ، وهو المستحق للعبادة ، فيكون التقدير في كلام المصنف السابق (والرب هو المعبود) ، يكون التقدير (والرب هو المستحق للعبادة) ومن ثم صح الاستدلال عليها بالآية ، وما أورده عن ابن كثير – يرحمه الله – .

أما الآية فهي قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ...) إلى آخر الآية . وهذه الآية فيها دلالتان على المقصود :–

أما الدلالة الأولى : فهي قوله سبحانه (اعبدوا) واعبدوا هنا يقصد به تجريد العبادة لله ، لا العبادة الشركية ؛ لأنه سبق أن العبادة في أفعال الناس وما إليه تأتي على شقين ، عبادة شركية ، وعبادة على وجه تمحيض وتجريد لله – سبحانه وتعالى – ، فالثانية هي المقصودة .

وأما الدلالة الثانية : فقوله سبحانه (فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا) أندادًا فسرها ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما – بأنه الشرك ، كما أخرجه عنه الطبري في (تفسيره) ، وكذا غيره فيكون تقدير الآية : (فلا تجعلوا لله شركاء أو شركًا في عبادتكم) .

ثم ذكر المصنف – يرحمه الله – قولة ابن كثير في هذه الآية : (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) . وهذه الآية ظاهرة واضحة على المقصود ، ولذلك سبق ذكر الدلالتين فيها ، وقد لخص المصنف – يرحمه الله – قولة ابن كثير ، فابن كثير – يرحمه الله – لم يقل هذه العبارة بنصها وإنما أسهب وأطال ، فلخص المصنف – يرحمه الله – جماع مقصود ابن كثير في هذه العبارة الوجيزة ، والتصرف في حكاية عبارات الأئمة يقع كثيرًا من الأئمة ، وقد جوز جمهور المحدثين حكاية أحاديث النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالمعنى وفق شروط وضوابط ، فغير كلام النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من باب أولى .

س ١٢٠ : كيف يُستدَل على معرفة الله بمخلوقاته ؟

ج : يرجع ذلك إلى معنيين كلّيين :

١ – أن البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير .

٢ – هذه المخلوقات لها خالق أوجدها ، فلا يصح أن يوجد المخلوق نفسه ولا أن يوجد من العدم ، فلزم أن يكون هناك خالق أوجدها وهو الله عزَّ وجلّ .

س١٢١ : مما استدل به المصنف قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (الأعراف / ٥٤) فما معنى (استوى) ؟

ج : الاستواء : ١ – إما أن يُعدَّى بمعدٍّ ، أو لا : (فأما إن كان بلا أداة تعدية فمن المساواة) (استوى زيد وعمرو)

٢ – وأما إذا عُدِّي بمعدٍّ فحالتان :

أ – أن تكون التعدية بـ (على) فيكون بمعنى (العلو) .

وتأتي على أربعة معان : (١ – العلو ٢ – الارتفاع ٣ – الصعود ٤ – الاستقرار) .

قال ابن القيم في نونيته :

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ ... تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ ... وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِيِّ

ب – أن تكون التعدية بـ (إلى) فيأتي بمعنى القصد لا بمعنى العلو والارتفاع .

س١٢٢ : (ألا له الخلق والأمر) ما معنى الأمر ؟

ج : الأمر صفة خاصة به وتأتي على معنيين :

١ – الأمر الشرعي الديني . ٢ – الأمر الكوني القضائي القدري .

س١٢٣ : ما الفرق بين الأمر الشرعي الديني ، والأمر الكوني القدري ؟

ج : مشيئة الله متعلقة بخلقه وأمره الكوني ، وكذلك الكوني ، وكذلك ما يحب وما يكره كله تحت المشيئة ، كما خلق إبليس والكفار وهو يبغضهم .

وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني ، فلفظ المشيئة كوني ، ولفظ المحبة ديني شرعي .

س١٢٤ : ما معنى قول المؤلف : (وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ...) إلخ ؟

ج : العبادات التي جاء بها الشرع تتوزع على هذه المراتب الثلاث التي سماها النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالدين كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور ، لهذا نرى المؤلف – يرحمه الله – بعد ذلك راح يذكر هذه العبادات على سبيل التمثيل والتوضيح ، ثم قال : (فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون / ١١٧) . والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال ، ولهذا لا ينبغي للعبد ولا يجوز له أن يصرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله تعالى .

س١٢٥ : ما الأدلة التي من خلالها نعرف أن هذه الأمور من العبادات التي يثيب الله عليها ، وأن من صرفها لغير الله أشرك ؟

ج : قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في (شرح الثلاثة الأصول / ٤٠) : (بعد ذلك شرع المؤلف – يرحمه الله تعالى – وأجزل له المثوبة – في بيان أدلة كون تلك التي ذكر من العبادات ، وذكر الخوف ، وذكر الرجاء ، وذكر الرغبة ، وذكر الرهبة ، وذكر الخشوع ، وذكر التوكل ، وذكر أشياء ، والذبح والنذر ، إلى آخره .
فكأنَّ قائلا قال : ما الدليل على أن هذه من العبادات التي من صرَفها لغير الله – جل وعلا – كَفر ؟ هو يسوق الأدلة ، والأدلة على هذه المسألة على نوعين :

الأول : أن يُستدل بدليل يُثبت كون تلك المسألة من العبادة ، يثبت كون الخوف من العبادة ، يثبت كون الرجاء من العبادة ، فإذا ثبت كونه من العبادة ، أُستدل بالأدلة السابقة كقوله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) ، وقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ " (صحيح الترمذي / ٢٩٦٩) ، وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) (غافر / ٦٠) ، ونحوها من الأدلة العامة ؛ بأن من توجه بالعبادة لغير الله فهو مشرك .

إذن النوع الأول متركب من شيئين ، الأول أن يقام الدليل على أن هذه المسألة من العبادة ؛ على أن الخوف من العبادة ، على أن الرجاء من العبادة ، فإذا استقام الدليل والاستدلال على أن هذه المسألة من العبادة ،
استدللتَ بالأدلة العامة على أن من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشرك ، هذا نوع .

النوع الثاني : خاص : وهو أن كل نوع من تلك الأنواع له دليل خاص ، يُثبت أن صرفه لغير الله جل وعلا شرك ، وأنه يجب إفراد المولى – جل وعلا – بذلك النوع من أنواع العبادة . وهذا مما ينبغي أن يتنبه له طالب العلم في مقامات الاستدلال ، لأن تنويع الاستدلال عند الاحتجاج على الخرافيين والقبوريين وأشباههم مما يقوي الحجة . تُنوِّع الاستدلال مرة بأدلة مجملة ، مرة بأدلة مفصلة ، مرة بأدلة عامة ، مرة بأدلة خاصة حتى لا يُتوهَّم أنه ليس ثَمَّ إلا دليل واحد يمكن أن ينازع المستدل به الفهم ، فإذا نوعتها صارت الحجة أقوى والبرهان أجلى .
بدأ في ذكر هذه الأدلة ، بعضها من النوع الأول وبعضها من النوع الثاني .

س١٢٦ : عَرِّف الدعاء ؟

ج : الدعاء : هو طلب العبد من ربه ما يحتاجه من أمور دينه ودنياه ، وهو من أهم مقتضيات توحيد الألوهية ، وحقيقته إفراد الله سبحانه بالدعاء بأنواعه ، وهو من الأسباب المأمور بالأخذ بها لجلب خير أو دفع ضر ، وفي الدعاء معانٍ كثيرة منها :

١ – إظهار الافتقار إلى الله تعالى . ٢ – إظهار الخضوع و الذلة والانكسار بين يدي الله أثناء الدعاء .
٣ – التبرؤ من الحول والقوة واضافتها لله سبحانه .

٤ – الدعاء يجب أن يتضمن الثناء على الله سبحانه بما يجب من أسمائه الحسنى وصفاته العلى امتثالا لقوله تعالى : (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (الأعراف / ١٨٠) .

س١٢٧ : هل للدعاء أنواع – مع التوضيح – ؟

ج : الدعاء نوعان :

١ – دعاء عبادة : وهو كل عمل يعبد الإنسان به ربه وسمي دعاء لأمرين :

أ – لأن هذه الأعمال صلبها وعمودها الطلب .

ب – وأن هذه الأعمال فيها معنى الطلب لأن الأعمال التعبدية يفعلها المرء ويقصد من ورائها طلب وهو رضى الله ليدخل جنته وينجو من ناره .

٢ – دعاء مسألة : وهو ماكان فيه سؤال ، فيرفع يديه ويدعو بلسانه كما هو معروف ، وهو داخل في دعاء العبادة لاشتماله على تعظيم الله بإفراده بالسؤال والطلب والخضوع له بجلب النفع أو دفع الضر .

– وليعلم أن دعاء العبادة هو الأعظم لأنه المشتمل على تعظيم الله وهو حق الله .

س١٢٨ : ما معنى قول الله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن / ١٨) فأي نوع من أنواع العبادة يفعل في المساجد ؟

ج : قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه للأصول الثلاثة : المساجد يحصل فيها النوعان :

الأول : دعاء مسألة : سؤال الله بأنواع المسألة (اللهم اغفر لي – اللهم ارحمني – اهدني – ارزقني .....) .

الثاني : دعاء عبادة : سؤال الله بأنواع العبادات كـ (الصلاة ، النوافل ، التسبيح ، حلقات العلم .... إلخ) .

(فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) لا دعاء مسألة ولا دعاء عبادة ، فدعاء المسألة وهو معروف بأن يدعوا الإنسان الله يغفر له ويرحمه .

أما دعاء العبادة : فهو العبادة نفسها ، لأن المتعبد لله بصلاته أو بذكر أو غير ذلك فهو سائل لله ، وإنما فعل العبادات رغبة في الأجر وكأنه يسأل الثواب والأجر على هذه العبادة ، قال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر / ٦٠) ففي أول الآية قال : (ادعوني) وفي آخرها : (أستجب لكم) ، فسمى الدعاء عبادة .

ولهذا فسَّر السلف قوله تعالى : (أستجب لكم) بتفسيرين :

١ – ادعوني أعطكم ما سألتم (دعاء مسألة) .

٢ – ادعوني (أثبكم) (من الثواب) دعاء عبادة ، فقال بعض أهل العلم في الآية : أنها تشمل نوعي العبادة (المسألة والعبادة) .

س١٢٩ : (لا برهان له به) ما معنى البرهان ؟ وما المقصود به عند المؤلف ؟ وماذا يقصد به عند إطلاقه ؟

ج : البرهان لغة : الحجة – والمقصود به ك الحجة المنتصر بها أو التي يسعى لها صاحبها لتقريرها .

والبرهان عند اطلاقه يأتي على وجهين :

١ – أن يكون حجة سواء أكانت صحيحة أم لا .

٢ – أن تكون حجة يسلم بها المحاج أي (تكون معتبرة) والثاني هو المقصود .

س١٣٠ : ما الذي يقصد بـ (نفي الفلاح إذا أطلق في القرآن) ؟

ج : ذكر جمع من أئمة التفسير أن (الفلاح) إذا أطلق نفيه في القرآن فإنما يقصد به (سلب الإيمان) أي أنه يقصد به كفر صاحبه الذي نزع منه الفلاح مطلقًا .

س١٣١ : ما الفرق بين دعاء العبادة ودعاء المسألة ؟

ج : يتبين الفرق بينهما من خلال النظر في النقاط التالية مع أن كلاً منهما لا يجوز التوجه به إلا لله وحده :

١) دعاء المسألة طلب نفع ودفع ضر ، بعكس دعاء العبادة فذل وخضوع وانكسار تام .

٢) دعاء المسألة من قبيل توحيد الربوبية ، أما دعاء العبادة فمن قبيل توحيد الألوهية .

٣) دعاء المسألة لا يختص بالمؤمنين ، أما العبادة فيختص بالمؤمنين فقط .

٤) دعاء المسألة داخل في الأمور الكونية ، أما دعاء العبادة فداخل في الأمور الشرعية .

٥) يجتمعان بأن دعاء المسألة ودعاء العبادة إذا توجه بهما العبد إلى الله تعالى فلابد وأن يكونا مقترنين بالرغبة والرهبة كما قال تعالى : (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء / ٩٠) .

س١٣٢ : قال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر / ٦٠) . بماذا فسر السلف قوله تعالى : (أَسْتَجِبْ) ؟

ج : فسر السلف قوله تعالى : (أستجب) بتفسيرين :

الأول : أستجب بمعنى أعطكم ما سألتم . الثاني : أستجب بمعنى أثبكم .

فإذا كانت الاستجابة بمعنى أثبكم فيكون الدعاء هنا دعاء العبادة لأنه هو المتعلق به الثواب .

وإذا كانت الاستجابة بمعنى أعطكم فيكون الدعاء هنا دعاء المسألة .

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في (تيسير الكريم الرحمن تفسير كلام المنان / ١٠٤٠) :

(هذا من لطفه بعباده ، ونعمته العظيمة ، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وأمرهم بدعائه ، دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، ووعدهم أن يستجيب لهم ، وتوعد من استكبر عنها فقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) أي : ذليلين حقيرين ، يجتمع عليهم العذاب والإهانة ، جزاء على استكبارهم) . وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في (أضواء البيان / ٧ / ٦١) : (قال بعض العلماء : (أدعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ) : اعبدوني أثبكم من عبادتكم ، ويدل لهذا قوله بعده : (إِنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عبادتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخرين) . وقال بعض العلماء : (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أي اسألوني أعطكم .

ولا منافاة بين القولين ، لأن دعاء الله من أنواع عبادته .

س١٣٣ : متى يصبح الدعاء شركًا ؟

ج : فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء أكان المدعو حيًا أم ميتًا .

ومن دعا حيًا بما يقدر عليه مثل أن يقول : يا فلان أطعمني ، يا فلان اسقني ، فلا شيء فيه ، ومن دعا ميتًا أو غائبًا بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفًا في الكون فيكون بذلك مشركًا .

س١٣٤ : عَرِّف الخوف ؟

ج : الخوف هو الذعر ، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى ، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده .

والخوف عبادة من العبادات مورده القلب ولكن تظهر آثاره على الجوارح .

س١٣٥ : هل للخوف أنواع ؟ مع التوضيح ؟

ج : الخوف ثلاثة أنواع (الإباحة ، والمدح ، والذم) .

١ – خوف مباح : (وهو الطبيعي) كالخوف من أسدٍ أو ثعبان ، أو الغرق ، وصاحبه لا يلام إذا انعقدت أسبابه ، أما إذا كان وهميًا فهو مذموم لأن صاحبه جبان ، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام : (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) (القصص / ١٨) لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ – يرحمه الله – سببًا لترك واجب أو فعل محرم كان حرامًا ؛ لأن ما كان سببًا لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل قوله تعالى : (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران / ١٧٥) .

والخوف من الله تعالى يكون محمودًا ، ويكون غير محمود .

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات ، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله ، والرجاء لثوابه .

وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه .

٢ – خوف ممدوح : وهو خوف العبادة وهو خوف تعبد وتعلق ، وهو أن يخاف أحدًا يتعبد بالخوف له فيدعوه الخوف لطاعته وهو خاص لله ، وصرفه لغير الله شرك أكبر ، وهو مراتب أعلاها : خوف المحسنين ،

والمحسنون درجات أعلاهم أولوا العزم من الرسل وهم درجات أعلاهم النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وأقل المراتب : الخوف الذي يحفظ أصل إيمانه ، كما قرره شيخ الإسلام .

٣ – خوف مذموم : وله مرتبتان :

أ – خوف السر يدخل صاحبه في الشرك الأكبر : كأن يخاف المرء من غير الله أشد من خوفه من الله عز وجل مثل الذي يخاف صاحب القبر ، أو وليًا بعيدًا عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضًا ذكره العلماء من الشرك .

ب – خوف محرم : لكن لا يخرج صاحبه من الملة كأن يخشى الإنسان من شيء دون موجب الخوف ويكون سمة له فهذا خوف غير جائز ، ولكن لا يخرج من الملة .

س١٣٦ : ما الفرق بين الخوف والخشية ؟

ج : الخشية بمعنى الخوف ، لكن الخشية أخص ، لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله ، فالخشية خوف مقرون بمعرفة الله (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (فاطر / ٢٨) .

س١٣٧ : عَرِّف الرجاء ؟ وما حقيقته ؟ وما أنواعه ؟

ج : السعي إلى الشيء مع ميل النفس إلى حصوله .

و الرجاء أيضًا عبادة قلبية ، وحقيقته : الطمع بالحصول على شيء مرجو أو الرغبة بالحصول على شيء .

أنواعه : الرجاء نوعان :

١ – رجاء محمود : هو رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله راج لثوابه ، ورجل أذنب ذنوبًا ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله وعفوه وإحسانه .

٢ – رجاء مذموم : وهو رجاء رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب .

فإن كان الرجاء لشيء ممن يملك ذلك الشيء فإن هذا رجاءٌ طبيعي ؛ كأن تقول : أرجو أن تحضر ، لأنه يمكنك أن تحضر ، أرجوك أن تفعل ، يمكنك أن تفعل ، هذا الرجاء ليس هو رجاء العبادة ، هذا نوع ، النوع الثاني : هو رجاء العبادة ، وهو أن يطمع في شيء لا يملكه إلا الله جل وعلا ، أن يطمع في شفائه من مرض ، يرجو أن يُشفى ، يرجو أن يدخل الجنة وينجو من النار ، يرجو أن لا يصاب بمصيبة ونحو ذلك ، هذه أنواع من الرجاء ، لا يمكن أن تُرجى وتُطلب وتُؤمل إلا من الله جل وعلا ، وهذا هو معنى رجاء العبادة .

فالرجاء منه ما هو رجاء عبادة ومنه ما هو رجاء ليس من العبادة ، والمقصود ها هنا هو رجاء العبادة .

قال جل وعلا : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف / ١١٠) هذا النوع من الرجاء امتدح الله جل وعلا من قام به ، قال : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) فدل على أن هذا الرجاء ممدوحٌ مَنْ رجاهُ ، وإذا كان ممدوحًا قد مدحه الله جل وعلا فهو مرضي عند الله جل

وعلا ، فيصدق عليه حد العبادة من أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، وهذا – من نص هذه الآية – داخل فيما يرضاه الله جل وعلا ، لأنه أثنى على من قام به ذلك الرجاء .

س١٣٨ : (فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا) (الكهف / ١١٠) ما المراد بـ (لِقَاء رَبِّهِ) ؟

ج : اللقاء نوعان :

١ – لقاء عام يقع لكل الخلق ، وهذا في الآخرة . ٢ – لقاء خاص : وهو ما خُص به المؤمنون في الآخرة من لقاء تلذذ ونعيم بالله – سبحانه وتعالى – ، فمن أراد اللقاء الثاني الذي هو لقاء نعيم وتلذذ ، فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بربه أحدًا .

وقوله هنا : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) ، (اللقاء) فُسِّر بالملاقاة ، وفُسِّر بالمعاينة ، وفُسِّر بالرؤية ؛ رؤية الله جل وعلا ، (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّه) لملاقاة الله جل وعلا والرجوع إليه ، أو فمن كان يرجو رؤية ربه ، لأن اللقاء يحتمل هذا وذاك وهما تفسيران مشهوران عن السلف .

(عملاً صالحًا) : قال القاضي عياض : (أخلصه وأصوبه) .

أما : أخلصه فهو أن يكون خالصًا لله ، وأما : أصوبه فهو أن يكون صوابًا على هدي النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

(وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) : هذا نهي عن الشرك ، ودلالته ظاهرة بما سبق شرحه من آيات .

س١٣٩ : ما مذهب أهل السنة في الجمع بين الخوف والرجاء ؟

ج : مذهبهم في ذلك أنه لابد أن يعبد العبدُ ربَّه بهما أي أن يعبد الله تعالى راغبًا راهبًا ، كما قال تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء / ٩٠) ، وقال تعالى : (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف / ٥٦) ؛ وذلك لأنه مَنْ عَبَدَ الله بالرجاء وحده أَمِنَ من مكر الله ، ومَنْ عَبَدَه بالخوف وحده وقع في اليأس من رحمة الله وقنط من روح الله ، ومَنْ عَبَدَه بالخوف والرجاء فهو الموحد المهدي إلى الصراط المستقيم ، ولابد من استوائهما فلا يغلب الخوف على الرجاء ، ولا يغلب الرجاء على الخوف فيهلك ، وهذه صورة من صور الوسطية إلا أنه إذا كان هناك مقتضى لتغليب أحدهما فإنه يغلبه وإلا فالأصل استوائهما ، وذلك كما إذا كان العبد يعالج سكرات الموت فلابد من تغليب جانب الرجاء حتى يحصل له إحسان الظن بربه كما في الحديث القدسي : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي " (خ / ٧٤٠٥ ، م / ٦٩٨١) ، وفي الحديث الآخر : " لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ " (م / ٧٤١٠) ، وطريق إحسان الظن تغليب الرجاء ، ومثال آخر : عند التوبة من الذنوب والمعاصي فإنه لابد أن يغلب جانب الرجاء ، ومثال آخر : عند تحديث النفس بفعل شيء من الذنوب فإنه لابد

أن يغلب جانب الخوف لتنزجر النفس عن ذلك ، وعلى ذلك فقس ، وبه تعلم أن الخشية إنما هي اجتماع الخوف والرجاء ، والله أعلم .

س١٤٠ : ما الفرق بين الترجي والتمني ، أو الرجاء والأماني ، أو أرجو وأتمنى ؟

ج : الفرق بين الرجاء والتمني : أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل ، والتمني يكون مع الكسل .
و قال العلامة محمد بن صالح العثيمين في (شرح المقدمة الآجرومية / ١٣٩) : (الرجاء طلب ما يقُرب حصوله للشيء القريب ...) الأصل أن يكون التعبير عن التمني بـ (ليت) وعن الترجي بـ (لعل) هذا الأصل ، لكن قد يكون العكس ، قد تأتي (لعل) في أمر مستحيل ، قال فرعون : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) (غافر / ٣٧) .
هذا تمن لأنه مستحيل لكنه قال : لعل .... المهم أن نقول : الفرق بين التمني والترجي : إذا كان التعلق بأمر مستحيل أو متعذر فهذا تمن ، وإذا كان بأمر قريب فهذا ترج) .
فالفرق بين الرجاء والتمني : أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل ، والتمني يكون مع الكسل .

س١٤١ : عَرِّف التوكل لغة واصطلاحًا ؟

ج : لغة : الاعتماد وزيادة مع التفويض .
اصطلاحًا : صدق الاعتماد على الله عز وجل في جلب المحبوب ودفع المكروه ، وهذا يجب إفراد الله سبحانه وتعالى به لفظًا وعقدًا ، أما لفظًا فلا يجوز أن تقول : توكلت على فلان ، إنما تقول : وكّلت فلانًا ، وأما عقدًا فلا يجوز أن تركن بقلبك وأن تعتمد على غير الله جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى ، بل يجب تمحيص الاعتماد وتخليصه من كل نظرٍ إلى مخلوق أو سبب .
قال – يرحمه الله – في الاستدلال على التوكل : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق / ٣) أي : كافيه ، وهذا فيه الأمر بالتوكل ، وفيه أن المتوكل على الله يحصّل مطلوبه .
وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين في (القول المفيد على كتاب التوحيد / ٢ / ٤٧) : (والتوكل : هو الاعتماد على الله – سبحانه وتعالى – في حصول المطلوب ، ودفع المكروه ، مع الثقة به وفعل الأسباب المأذون فيها ، وهذا أقرب تعريف له ، ولابد من أمرين :
الأول : أن يكون الاعتماد على الله اعتمادًا صادقًا حقيقيًا . الثاني : فعل الأسباب المأذون فيها .
فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب ، نقص توكله على الله ، ويكون قادحًا في كفاية الله ، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه من حصول المطلوب وزوال المكروه .
ومن جعل اعتماده على الله ملغيًا للأسباب ، فقد طعن في حكمة الله ، لأن الله جعل لكل شيء سببًا ، فمن اعتمد على الله اعتمادًا مجردًا ، كان قادحًا في حكمة الله ، لأن الله حكيم ، يربط الأسباب بمسبباتها ، كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج .

والنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أعظم المتوكلين ، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب ، فكان يأخذ الزاد في السفر ، ولما خرج إلى أُحُد ظاهر بين درعين ، أي : لبس درعين اثنين ، ولما خرج مهاجرًا أخذ من يدله على الطريق ، ولم يقل سأذهب مهاجرًا وأتوكل على الله ، ولن أصطحب معي من يدلني على الطريق ، وكان – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يتقى الحَرَّ والبرد ، ولم ينقص ذلك من توكله .

والتوكل نصف الدين ، ولهذا نقول في صلاتنا : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة / ٥) فنطلب من الله العون اعتمادًا عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته .

وقال تعالى : (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) (هود / ١٢٣) ، وقال تعالى : (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود / ٨٨) ، ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل ، لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز ولم يتمكن من القيام بالعبادة فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله ، فينال بذلك أجر العبادة وأجر التوكل ، ولكن الغالب عندنا ضعف التوكل ، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أو العادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا الفعل ، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة وننسى ما وراء ذلك ، فيفوتنا ثواب عظيم ، وهو ثواب التوكل ، كما أننا لا نوفق إلى حصول المقصود كما هو الغالب ، سواء حصل لنا عوارض توجب انقطاعها أو عوارض توجب نقصها) .

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرح الأربعين النووية / ٣٠٥) : (والتوكل على الله – سبحانه وتعالى– من أعظم المقامات ؛ مقامات الإيمان ، بل هو مقام الأنبياء والمرسلين في تحقيق عبوديتهم العظيمة للرب – جل وعلا – .

والتوكل على الله معناه : أن يفعل السبب الذي أُمر به ، ثم يفوض أمره إلى الله – جل وعلا – في الانتفاع بالأسباب ، وإذا كان ما لديه من الأمر لا يملك أن يفعل له سببًا فإنه يفوض أمره إلى الله جل وعلا : (وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (غافر / ٤٤) وهذا التفويض إلى الله – جل وعلا – عمل القلب خاصة ، يعني : أن يلتجئ بقلبه ، وأن يعتمد بقلبه على الله – جل وعلا – في تحصيل مراده ، أو دفع الشر الذي يخشاه ، والعباد إذا تعامل معهم فإنما يتعامل معهم على أنهم أسباب ، والسبب قد ينفع ، وقد لا ينفع ، فإذا تعلق القلب بالخلق أوتي من هذه الجهة ، ولم يكن كاملا في توكله .

فتعلق القلب بالخلق مذموم ، والذي ينبغي : أن يتوكل على الله ، وأن يعلق قلبه بالله – جل وعلا – ، وألا يتعلق بالخلق ، حتى ولو كانوا أسبابًا ، فينظر إليهم على أنهم أسباب ، والنافع والذي يجعل السبب سببًا ، وينفع به هو الله – جل وعلا – .

إذا قام هذا في القلب فإن العبد يكون مع ربه – جل وعلا – ، ويعلم أنه لن يكون له إلا ما قدره الله – جل وعلا – له ، ولن يمضي عليه إلا ما كتبه الله – جل وعلا – عليه) .

س١٤٢ : اذكر أنواع التوكل ؟

ج : اعلم أن التوكل أنواع :

الأول : التوكل على الله تعالى ، وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله .

الثاني : توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة ، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر ؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سريًا في الكون ، ولا فرق بين أن يكون نبيًا ، أو وليًا ، أو طاغوتًا عدوًا لله تعالى .

الثالث : التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه . أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به ، إذا كان للمتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب ، والسنة ، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه : (يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ) (يوسف / ٨٧) ووكَّل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، على الصدقة عمالاً وحفاظًا ، ووكَّل في إثبات الحدود وإقامتها ، ووكَّل عليّ بن أبي طالب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها ، وأن ينحر ما بقي من المئة بعد أن نحر – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بيده ثلاثًا وستين . وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة .

قال ابن القيم عن التوكل : هو ما توفر فيه ثلاثة أركان :

١ – الاعتماد على الله ٢ – الثقة بالله . ٣ – طرق الأسباب المشروعة وهو نوعان :

أ – أسباب قدرية (النار محرقة) . ب – سبب شرعي (جعل الله بين مسبب وسبب علاقة لا تعرف إلا بالدين أو الشرع ، ومنه العمل الصالح للنجاة في الآخرة .

س١٤٣ : هل يصح أن يقال : توكلت على الله ثم عليك ؟

ج : لا يصح لأن الإمام أحمد وغيره صرحوا بأن التوكل (عمل القلب) ، ومعنى التوكل : هو تفويض الأمر إلى الله بعد بذل السبب ، فإذا بذل السبب فَوَّض أمره إلى الله فيكون (مجموع بذل السبب + تفويضه الأمر إلى الله) = التوكل .

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم عن هذه العبارة فقال : لا تصح لأن التوكل من عمل القلب ، فلا يقبل أن يقال (ثم) والذي يقال فيه (ثم) الذي يسوغ أن ينسب للبشر .

بعض أهل العلم في الوقت الحاضر قال : هذه العبارة لا بأس بها ولا ينظر فيها إلى أصل معناها من أن التوكل في القلب ولكن ينظر إلى أن العامة إذا استعملوها فلا يريدون بها التوكل الذي يعلمه العلماء وإنما يريدون بها (وكَّلتك واعتمدت عليك ونحو ذلك) فسهَّلوا فيها باعتبار ما يجول في خاطر العامة من معناها ولا يعنون التوكل الذي لا يصلح إلا لله .

يقول آل الشيخ : (لكن الأولى المنع ، لأن هذا الباب ينبغي أن يُسد ولو فتح باب الاستسهال في الألفاظ لأجل مراد العامة فإنه من يقول ألفاظ شركية ويقول : أنا لا أقصد بها كذا ، مثل الذي يظهر ويكثر على ألسنة الناس من الحلف بغير الله (كالنبي والأولياء والكعبة وغير ذلك) فينبغي إغلاق ما يتعلق بالتوحيد حتى لا يضعفه أو يخدشه فنغلق كل باب يؤدي إلى ذلك) ا . هـ

س١٤٤ : عَرِّف الرغبة والرهبة والخشوع ؟ وما دليل كلٍ ؟

ج : (الرغب) : هو طلب الشي مع ميل إليه وإرادة تحصليه والظفر به .

(والرهب) : هو الخوف المثمر للهروب من المخوف وهو خوف مقرون بعمل .

(والخشوع) : هو الطمأنينة ، يقال : محل خاشع أي مطمئن ، أي منخفض عن غيره ، وأما الخشوع في استعمالات كثيرة فيأتي بمعنى السكون .

اصطلاحًا : حالة تقع للإنسان في عبادة يتعبد الله بها .

والخشوع هي حالة تقع للإنسان في عبادته ، يتعبد الله بها ، فإذا وقعت هذه العبادة أو عبادة الرغبة والرهبة لغير الله – سبحانه وتعالى – فقد أشرك الإنسان بالله .

ودليل كلٍ : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء / ٩٠) .

، ولذلك قال – سبحانه وتعالى – : (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) بعد قوله تعالى : (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)

والخيرات هي مطلق العبادات والطاعات ، فدل على أن العبادات ومنها الرغبة والرهبة والخشوع ، لا تصرف إلا لله – سبحانه وتعالى – ، وهذه دلالة فيها ضعف ؛ ولكنها من الدلائل التي تذكر للآية لإيراد المصنف لها ، وعلى كلٍ فمجمع على أن العبادة مطلقًا لا تصرف إلا لله – سبحانه وتعالى – ، ومن ذلك عبادة الرهبة والرغبة والخشوع .

س١٤٥ : عَرِّف الخشية ؟ واذكر أنواعها ؟

ج : الخشية : هي خوف وزيادة ، قال العلامة ابن عثيمين في (شرح الثلاثة الأصول / ٥٦) : (الخشية هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه ، لقول الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (فاطر / ٢٨) أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من الخوف ، ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف ، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية . ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام الخوف) .

والخشية : هي خوف وزيادة ، ولذلك فَرَّق المصنف بين عبادة الخوف والخشية بإيرادهما في مساق أمثلة على العبادة ، ومن ثم قال تعالى : (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) (البقرة / ١٥٠) أي : فيه دلالة على النهي عن خشية غير الله – سبحانه وتعالى – ، أو مثل خشية الله سبحانه وتعالى .

٢ – لا تخرج من الملة فهذه لا شيء فيها

والخشية نوعان – كالخوف – أي : من حيث إخراج الإنسان من ملة الإسلام وعدمه :

الأول : خشية مُخرجة من الملة ، كأن يخشى غير الله كخشية الله أو أشدّ .

الثاني : خشية عادية ، لا تُخرج الإنسان من ملة الإسلام ، فهذه لا شيء فيها أي لا شيء في كونها غير مُخرجة للإنسان من ملة الإسلام .

س١٤٦ : عَرِّف الإنابة ؟

ج : الإنابة : في اللغة هي : من قولهم : أناب إلى كذا ، أي : رجع إليه ، والإنابة في المساق الشرعي في أدلة كثيرة تدل على التوبة مع رجوع إلى حالة أحسن ، من الكف عن مباشرة الذنب ومقارفته ، فمن تاب ثم عمل من الصالحات ، فهذا منيب ومن تاب ولم يعمل الصالحات ، أي : لم يخالف حالته السابقة فهذا ليس منيبًا ، وإنما هو تائب ، وهذه من دقائق الفروقات التي تذكر .

واستدل المصنف – يرحمه الله – على ذلك بقول الله تعالى : (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) (الزمر / ٥٤) ، فقرن الإنابة بالإسلام ، وهذا منه ، أي من الإسلام ، فهو من العبادات العظيمة .

وقال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٥٧) : (الإنابة الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى : (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) . والمراد بقوله تعالى : (وَأَسْلِمُوا لَهُ) الإسلام الشرعي وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان :

الأول : إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى : (وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (آل عمران / ٨٣) .

الثاني : إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل واتباعهم بإحسان ، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف – يرحمه الله –) .

س١٤٧ : ما الفرق بين الإنابة والتوبة ، أو المنيب والتائب ؟

ج : إن التوبة هي رجوع إلى الله تعالى ولكنه رجوع غير تام بحيث يبقى معها من آثار الذنوب بعض الشيء ، وممكن أن يرجع صاحبها إلى ما كان عليه .

أما الإنابة فرجوع تام إلى الله تعالى لا رجوع بعده إلى اقتراف الذنوب .

س١٤٨ : عَرِّف الاستعانة ؟ مع بيان أنواعها ؟

ج : الاستعانة : طلب العون ، استعان بكذا إذا طلب عونه .

أنواعها :

الأول : الاستعانة بالله وهي : الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه ، وتفويض الأمر إليه ، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة / ٥) ووجه

الاختصاص أن الله تعالى قَدَّم المعمول (إياك) وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركًا مخرجًا عن الملة .
الثاني : الاستعانة بالمخلوق وتنقسم إلى : أ – الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه هذا المخلوق المستعان به ، فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة / ٢) .
وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثَمَّ تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى : (وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة / ٢) .
ب – الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل .
وقال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٥١) : (ودليل الاستعانة قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة / ٥)) هذا دليل عام في العبادات جميعًا حيث قال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) و(إِيَّاكَ) ، كما هو معلوم ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مُقدَّم ، أصل الكلام (نَعْبُدُ إِيَّاكَ) ومن المعلوم أن المفعول به يتأخر عن فعله ، فإذا قُدّم كان ثم فائدة في علم المعاني من علوم البلاغة ألا وهي أنه يُفيد الاختصاص ، وطائفة من البلاغيين يقولون يفيد الحصر والقصر . وعلى العموم الخطب يسير يفيد الاختصاص أو يفيد الحصر والقصر، هنا أفاد أن العبادة من خصوصيات الله جل وعلا ؛ خاصة بالله جل وعلا . (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) يعني لا نعبد إلا أنت ......) .
ج – الاستعانة بمخلوق غير حي أو غير حاضر ، أو بما لا يقدر عليه إلا الله ، فهذه غير جائزة .

س١٤٩ : ما حكم الاستعانة بغير الله ؟

١ – مخرجة من الملة ، كأن يستعين الإنسان بغير الله مما لا يقدر عليه إلا الله ، فهذا شرك أكبر .
٢ – ليست شركية : وهي مراتب منها : الاستعانة الطبيعية كأن يستعين الأب بابنه في بناء بيت .

س١٥٠ : ما وجه الاستدلال بقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " ؟

ج : قال الشيخ صالح في (شرحه / ٣٨) : (قال الشيخ – يرحمه الله تعالى – : وفي الحديث " وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " (صحيح الترمذي / ٢٥١٦)) وجه الاستدلال : أن الأمر بالاستعانة بالله رُتِّبَ على إرادة الاستعانة ، قال : " وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " يعني إذا كنت متوجهًا للاستعانة فلا تستعن بأحد إلا بالله ؛ لأن الأمر جاء في جواب الشرط ، قال (إِذَا اسْتَعَنْتَ) ، (إِذَا) هذه شرطية غير جازمة ، و(اسْتَعَنْتَ) هذا فعل الشرط ، (إِذَا اسْتَعَنْتَ) إذا حصل منك حاجة للاستعانة فاستعن – هذا الأمر – فاستعن بالله ، لما أمر به علمنا أنه من العبادة ثم لما جاء في جواب الشرط صار مُتَرَتِّبًا مع ما قبله لما يفيد الحصر والقصر) .

وقال في (شرح الأربعين النووية / ٣٠٤) : (قال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " هذا مأخوذ من قول الله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة / ٥) وفيه إفراد الله – جل وعلا – بالاستعانة وبالسؤال ، وهذه على مرتبتين : –

الأولى : واجبة ، وهي التوحيد بأن يستعين بالله – جل جلاله – وحده دون ما سواه فيما لا يقدر عليه إلا الله – جل وعلا – ، فهذا واجب أن يُفرد الله – جل وعلا – بالاستعانة ، وكذلك أن يسأل الله – جل وعلا – وحده فيما لا يقدر عليه إلا الله – جل وعلا – ، هذا هو المعروف عندكم في التوحيد فيما يكون من الدعاء صرفه لغير الله – جل وعلا – شرك ، وكذلك في الاستعانة التي يكون صرفها لغير الله – جل وعلا – شركًا .

المرتبة الثانية : المستحبة ، وهو أنه إذا أمكنه أن يقوم بالعمل ، فإنه لا يسأل أحدًا من الناس شيئًا ، والنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قد أخذ العهد على عدد من الصحابة ألا يسألوا الناس شيئًا ، قال الراوي : فكان أحدهم يسقط سوطه فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه وهذا من المراتب التي يتفاوت فيها الناس .

فإذا أمكنك أن تقوم بالشيء بنفسك فالأفضل والمستحب ألا تسأل أحدًا من الخلق في ذلك ، إذا أمكنك يعني : بلا كلفة ، ولا مشقة ، ومن كانت عادته دائمًا أن يطلب الأشياء فهذا مكروه ، وينبغي للعبد أن يوطن نفسه ، وأن يعمل بنفسه ما يحتاجه كثيرًا ، وإذا سأل في أثناء ذلك ، فإنه لا يقدح حتى في الدرجة المستحبة ؛ لأنه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ربما أمر من يأتيه بالشيء ، وربما طلب من يفعل له الشيء ، وهذا على بعض الأحوال .

(قال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " ظاهر في الوجوب إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله على القيد الذي ذكرنا لكم ؛ من أن هذا يتناول المرتبة الأولى على الوجوب ، والمرتبة الثانية على الاستحباب) .

س١٥١ : عَرِّف الاستعاذة ؟

ج : – الاستعاذة : من العوذ وهي طلب العوذ : أي : طلب ما يَحمِي من المكروه .

قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٥٩) : (الاستعاذة : طلب الإعاذة والإعاذة الحماية من مكروه فالمستعيذ محتمٍ بمن استعاذ به ومعتصم به) .

س١٥٢ : اذكر أنواع الاستعاذة ؟ مع بيان الجائز منها وغير الجائز ؟

ج : قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في (شرحه / ٥٩) : (الاستعاذة أنواع : الأول : الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل ، صغير أو كبير ، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) (الفلق) إلى آخر السورة وقوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس (١)) (الناس) إلى آخر السورة .

الثاني : الاستعاذة بصفة ، ككلام الله وعظمته وعزته ونحو ذلك ودليل ذلك قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " (م / ٧٠٥٣) وقوله : " أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِى "

(صحيح أبي داود / ٥٠٧٤) وقوله : في دعاء الألم " أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ " (صحيح ابن ماجة / ٣٥٢٢) ، وقوله : " أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ " (م / ١١١٨) ، وقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حين نزل قوله تعالى : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) (الأنعام / ٦٥) فقال : " أَعُوذُ بِوَجْهِكَ " (خ / ٤٦٢٨) .

الثالث : الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ، ومنه قوله تعالى : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) (الجن / ٦) .

الرابع : الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز ودليله قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في ذكر الفتن : " مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ فَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً ، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ " (خ / ٧٠٨١ ، م / ٧٤٢٩) وقد بيَّن – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هذا الملجأ والمعاذ بقوله : " فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ " (م / ٧٤٣٢) ، وفي صحيحه أيضًا عن جابر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه – " أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِى مَخْزُومٍ سَرَقَتْ فَأُتِىَ بِهَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ " (م / ٤٥٠٨) الحديث ، وفي صحيحه أيضًا عن أُمِّ سَلَمَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ " (م / ٧٤٢١) الحديث . ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان ، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه .

ويمكن تلخيص حكمها إلى :

١ – شركية : كأن يستعيذ بغير الله مما لا يقدر عليه إلا الله .

٢ – غير شركية : ما دون الشركية ، وهي مراتب منها أن يستعيذ بذي سلطان وغيره .

س١٥٣ : ما الفرق بين الاستعاذة واللياذة أو الفرق بين (أعوذ ، ألوذ) ؟

ج : الاستعاذة هي طلب العوذ ، ولا تكون إلا مما يخافه الإنسان ويريد دفعه قال تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق / ١) ، وقال : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (الناس / ١) .

أما اللياذة فهي طلب اللوذ و تكون ما يريده الإنسان ويؤمله .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في (القول المفيد على كتاب التوحيد / ١ / ١٢٢) : (ويقال : عاذ به ولاذ به ، فالعياذ مما يخاف ، واللياذ فيما يؤمل ، وعليه قول الشاعر (المتنبي) يخاطب ممدوحه ، – ولا يصلح ما قاله إلا لله – :

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمّا أُحاذِرُهُ

س١٥٤ : قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " (م / ٧٠٥٣) ما الفوائد التي يمكن أن تُستخلص من الحديث ؟

ج : يمكن أن نستخلص من هذا الحديث النبوي الشريف عدة فوائد منها :

أولاً : إنَّ مما يجب التنبيه له أن ليس كل ما خلق الله تعالى فيه شر ، لكن نستعيذ من شره إن كان فيه شر ، لأن مخلوقات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١) شر محض كالنار وإبليس باعتبار ذاتيهما ، أما باعتبار الحكمة التي خلقهما من أجلها فهي خير .

٢) خير محض كالجنة والرسل والملائكة . ٣) فيه خير وشر كالإنس والجن والحيوان .

وإننا عندما نستعيذ بالله من شر ما خلق إنما نستعيذ من شر ما فيه شر .

ثانيًا : كما يمكن أن نستفيد من الحديث أن القرآن هو كلام الله تعالى منه نزل وإليه يعود غير مخلوق كما تقول المعتزلة ومن شابهها ، لأنه إن كان مخلوقًا لم يجز لنا أن نستعيذ به فتنبه !!! .

س١٥٥ : عَرِّف الاستغاثة ، و ما أنوعها ؟

ج : قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٥٥) : (الاستغاثة : طلب الغوث ، والغوث يُفسَّر بأنه الإغاثة ، المدد ، النصرة ، ونحو ذلك ، فإذا وقع مثلا أحد في غرق ينادي أَغثني أغثني ، يطلب الإغاثة ، يطلب إزالة هذا الشيء ، يطلب النصرة . والاستغاثة عبادة ؛ وجه كونها عبادة أن الله جل وعلا قال هنا (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) (الأنفال / ٩) وجه الاستدلال أنه أتى بها في معرض الثناء عليهم ، وأنه رتّب عليها الإجابة ، وما دام الله جل وعلا رتّب على استغاثتهم به إجابته جل وعلا دل على أنه يحبها ، وقد رضيها منهم ، فنتج أنها من العبادة ، و(إِذْ) هنا بمعنى حين (إذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم) يعني حين (تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) وتلاحظ أنّ الآية هنا (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم) وقبلها (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) الاستغاثة –كما ذكرت لك – والاستعاذة والاستعانة ونحو ذلك ، تتعلق بالربوبية كثيرًا ، هنا (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) قال قبلها (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) لأن حقيقتها من مقتضيات الربوبية ، من الذي يُغيث ؟ هو المالك ، هو المُدبِّر ، هو الذي يُصرِّف الأمر ، وهو ربّ كل شيء . والاستغاثة عمل ظاهر ، ولهذا يجوز أن يستغيث المرء بمخلوق ، لكن بشروطه .

س١٥٦ : ما الشروط التي يجب توافرها في المستغاث به ، مع الشرح والحكم ؟

ج : أن يكون : ١ – حيًا ٢ – حاضرًا ٣ – قادرًا ٤ – يسمع .

وهي أن يكون هذا المطلوب منه الغوث ، حيًا ، حاضرًا ، قادرًا ، يسمع ، فإذا لم يكن حيًا كان ميتًا صارت الاستغاثة بهذا الميت كفرًا ، ولو كان يسمع ولو كان قادرًا ، مثل الملائكة أو الجن ، قلنا أن يكون حيًا حاضرًا قادرًا يسمع ، فإذا لم يكن حيًا كان ميتًا ، ولو اعتقد المستغيث أنه يسمع وأنه قادر ، فإنه إذا كان ميتًا فإن الاستغاثة به شرك . الأموات جميعًا لا يقدرون على الإغاثة لكن قد يقوم بقلوب المشركين بهم أنهم يسمعون ، وأنهم أحياء مثل حال الشهداء ، وأنهم يقدرون مثل ما يُزعَم في حال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ونحو ذلك ، فنقول إذا كان ميتًا فإنه لا يجوز الطلب منه ، قالوا فما يحصل يوم القيامة من استغاثة الناس بآدم ثم استغاثتهم بنوح إلى آخر أنهم استغاثوا بنبينا محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، نقول هذا ليس استغاثة بأموات ، يوم القيامة هؤلاء أحياء ، يُبعث الناس ويُحيَوْن من جديد ، كانوا في حياة ثم ماتوا ثم أعيدوا إلى حياة أخرى . فهي استغاثة بمن ؟ بحي ، حاضر ، قادر ، يسمع . بهذا ليس فيما احتجوا به من حال أولئك الأنبياء يوم القيامة

حُجة على جواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا ، والاستغاثة بغير الله جل وعلا أعظم كفرًا من كثير من المسائل التي صَرْفها لغير الله جل وعلا شرك ، إذن فالشروط :

١ – أن يكون حيًا : إذا كان ميّتا لا يجوز الاستغاثة به .

٢ – أن يكون حاضرًا : إذا كان غائبًا لا يجوز الاستغاثة به ؛ حي قادر لكنه غائب . مثل لو استغاث بجبريل عليه السلام فليس بحاضر ، حي نعم ، وقادر قد يطلب منه ما يقدر عليه ، ولكنه ليس بحاضر . مثل أن يطلب من حي قادر من الناس ؛ يَطلب من ملك يملك أو أمير يستغيث به أغثني يا فلان ، وهو ليس عنده ، مع أنه لو كان عنده لأمكن بقوَّته ، لكنه لمَّا لم يكن حاضرًا صارت الاستغاثة – تعلُّق القلب – بغير حاضر هذا شرك بالله جل وعلا .

٣ – أن يكون قادرًا ٤ – أن يكون يسمع

س١٥٧ : اذكر أقسام الاستغاثة و ما حكمها ؟

ج : قال الشيخ ابن عثيمين (في شرحه ٦٠) : (الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك ، وهو أقسام :

الأول : الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم ، ودليله ما ذكره الشيخ – يرحمه الله – (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأنفال / ٩) وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعًا يديه مستقبل القبلة يقول : " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِى مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِى اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِى الأَرْضِ " (م / ٤٦٨٧) وما زال يستغيث بربه رافعًا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه – رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله هذه الآية .

الثاني : الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك ؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون فيجعل لهم حظًا من الربوبية قال الله تعالى : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل / ٦٢) .

الثالث : الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى : (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) (القصص/ ١٥) .

الرابع : الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة ، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة) ا. هـ

س١٥٨ : ما الفرق بين الاستغاثة والدعاء ؟

ج : الاستغاثة لا تكون إلا من مكروه ، أما الدعاء فأعم من ذلك فيكون من المكروه وغيره .

س١٥٩ : ما الشروط التي يجب أن تتوفر في الإنسان حتى يصح الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة به ؟

ج : الشروط : ١) أن يكون حيًا ولا يجوز الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة بالأموات ، لأن الميت ليس هو في دار عمل وتكليف ، وليس هو عند الله بمكان حتى يطلب من الله فيُستجاب له .

٢) أن يكون حاضرًا ولا يجوز الاستغاثة بغير حاضر .

٣) أن يكون قادرًا وأما الاستغاثة بغير القادر فلغو لا فائدة منه .

٤) يسمع .

س١٦٠ : ما الفرق بين الاستغاثة والاستعاذة ؟

ج : الفرق بين الاستغاثة والاستعاذة : أن الاستعاذة تَطلب منه لأن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك ، أما الاستغاثة تَطلب منه أن يزيل ما فيك من شدة وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى .

س١٦١ : عَرِّف الذبح ، والنحر ، وكيف يكون الذبح عبادة ؟

ج : الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص .

قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٥٦) : (الذبح الذي هو النحر ، والذبح يشمل النحر الخاص ويشمل الذبح الذي هو قسيم النحر لأن :

النحر : هو الطعن بسكين أو بالحَرْبَة في الوَحدة ، مثل ما يُفعل بالإبل كما تعلمون هي لا تذبح ذبحًا ، لكن هي تطعن في وَحدتها وإذا طُعنت وحُرِّكت السكين واندثر الدم وماتت ، ليس ثَم ذبح . كذلك البقر قد تُنحر .

وأما الذبح : فيكون في الغنم من الضأن والماعز وكذلك في البقر .

الذبح والنحر عبادة ، المقصود منها إراقة الدم ، وإراقة الدم – من حيث هو – لا يكون إلا بتعلقٍ للقلب ، فإذا أراق الدم لله جل وعلا تعلق القلب بالله جل وعلا . فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها أو يكون معها عبادة باطنة قلبية ، فمن ذبح لغير الله وقع في شرك ظاهر ؛ لأن هذه عبادة صرفها لغير الله ، وكذلك قلبه تعلق بغير الله فصار شركه من جهتين .

وجه الاستدلال من قوله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام / ١٦٢) أنه قال : (وَنُسُكِي) والنسك فُسِّرت بعدة تفسيرات عن السلف منها الذبح والنحر وهذا كما قال جل وعلا في الآية الأخرى : (إنا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر / ١– ٢) ، (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) أمره بأن يوحد الله جل وعلا بالصلاة ، وكذلك أمره بالنحر لربه جل وعلا وحده ، إذن النسك هنا الذبح .

قال : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّه) الصلاة لمن ؟ لله . وجه اللام هنا أنها لام الاستحقاق ، قل إن صلاتي لله ، يعني صلاتي مستحقة لله ، هذا وجه الاستدلال . ونسكي لله ، يعني نسكي الذي هو ذبحي مستحق لله وحده لا شريك له . ومحياي لله ومماتي لله ، هذه لام أخرى وهي لام المِلك ، الصلاة والنسك لله استحقاقًا ، والمحيا والممات لله مُلكًا ؛ لأن اللام تأتي للاستحقاق وتأتي للملك ؟ في هذه الآية جعل هذه الأفعال الأربعة الصلاة والنسك والمحيا والممات جعلها جميعًا باللام مؤخرة ، بقوله (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لكن تختلف ، الصلاة والنُسُك لله استحقاقًا ، والمحيا والممات لله جل وعلا مُلكًا ، فجمعت هذه الآية بين توحيدي الله جل وعلا : في إلهيته وهو الأول ، وفي ربوبيته وهو الثاني . قل إن صلاتي ونسكي لله ، هذا توحيد لله جل وعلا في إلهيته ، ومحياي ومماتي لله هذا توحيد لله جل وعلا في ربوبيته ، فكما أنه جل وعلا هو مالك محياي ومماتي ، فكذلك هو المستحق لصلاتي ونسكي ، قال جل وعلا لنبيه قل إن صلاتي ونسكي مستحقة لله ، ومحياي ومماتي ملك لله جل وعلا (رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) فذكر الربوبية ثم ذكر الألوهية ، ثم بيَّن أن هذا من علامات الإسلام العظيمة فقال : (وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ) وهذا وجه استدلال آخر إذ إن هذه مأمور بها ، قال : (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) .

الذبح كما أنه عمل ظاهر وهو إراقة الدم ، والدم الذي بَثَّهُ في أعضاء المذبوح هو الله جل وعلا ، وهو علامة الحياة ، فلا يُزهق إلا لمن خلَقه ، ولمن بثه في أعضاء من به الحياة .

ولهذا قال العلماء إن العبد حال الذبح يجتمع في قلبه أنواع من العبوديات :

منها الذل لربه جل وعلا . ومنها التعظيم له جل وعلا . ومنها الرجاء ؛ رجاء ما عنده حال ذبحه .

ومنها طلب البركة ؛ لأنه ما ذبح إلا لله .

وهذه كلها عبادات قلبية ، فكما أن الذبح عمل ظاهر ؛ به تحريك اليد ، تحريك اللسان ببعض القول ، كذلك يقوم بالقلب حال الذبح أنواع من العبوديات ، قد ما يقوم بالقلب شيء البتة ، مثل ما يُذبح لضيافة أو نحو ذلك ، فهذا يجب أن يكون ظاهرًا لله جل وعلا وحده ، وإذا اجتمع أن يكون في الذبيحة ، أن تكون اجتمعت فيها العبادة الظاهرة والعبادة الباطنة ؛ العبادة القلبية ، كانت أكمل في رجاء ثواب الذبح ، ولو كان في الأمور العادية من ضيافة ونحوها ، فيكون الذبح لله جل وعلا ظاهرًا لم يُرد بهذا إلا الله جل وعلا ، وباسمه لم يذكر إلا اسم الله جل وعلا ، ثم يكون بالقلب ذل لله جل وعلا وخضوع وتعظيم ورجاء المثوبة منه وحده ، فتجتمع العبادات القلبية وعبادات الجوارح حال الذبح .

لهذا ، الذبح من العبادات العظيمة ، لكن قد يغفل الناس عن تعلق القلب وفعل الجوارح حين الذبح ، وكيف تكون لله جل وعلا ، ولهذا على طالب العلم أن يتعلم هذا إن لم يحسنه ، يتعلم كيف يكون حال الذبح ؛ حال ذبحه لذبيحته للأضحية وهي آكد وآكد وآكد ، أو لغيرها ، أن يكون مُوحِّدًا تمامًا ، يرجو في ذبحه أن يكون على غاية من العبودية في لسانه وقلبه وجوارحه ؛ لأنه فيه حركة لسان للتسمية والتكبير ، وفيه عمل القلب بأنواع من العبوديات ذكرت بعضها ، وفيه أيضا حركة اليد ، وهذا كله مما يجب أن يكون لله جل وعلا وحده .

وقال الأسمري في (شرحه / ٨٦) : (والذبح نوعان : – أما النوع الأول : فذبح عبادة يتقرّب بالدم إلى الغير ، فهذا لا يجوز إلا لله – سبحانه وتعالى – ، ومن قرّب الدم للغير كان شركًا لله – سبحانه وتعالى – ، أي يهريق الدم تقربًا إلى الغير بهذا الدم تعظيمًا أو تبجيلاً أو نحو ذلك ، ومن أمثلة ذلك أن يؤتى بمجموعة من الإبل والنوق ثم تُصف أمام إنسان معظم ثم تنحر ، ولا يؤكل منها شيء لأجل تعظيم هذا الواقف أمامها ، إنما كان الدم له يتقرب به إليه تعبدًا ، فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام .

وأما النوع الثاني : فهو أن لا يكون تعبدًا ، وإنما يقصد منه اللحم ، كأن يأتيك ضيف ، أو أن تأتي بذبيحة لأهل بيتك تقصد اللحم ، ولا تقصد أن تقربها لله – سبحانه وتعالى – ، فهذا لا يدخله الشرك ، ولاشيء فيه ؛ ولكن لا بد أن يكون المذبوح والذبح على وفق شروطه الشرعية المعروفة .

قوله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام / ١٦٢)

(نسكي) : هو محل الشاهد . وفيه تفسيران للمفسرين : –

أما التفسير الأول : فنسكي أي : عبادتي ، ولذلك يقال هذا صاحب نسك وهذا متنسك أي : عابد ، ومنه قيل نسك الحج ، أي : عبادة الحج .

وأما التفسير الثاني : فنسك بمعنى : الذبيحة ، وعلى التفسير الثاني يصح الاستدلال بالآية ، وهو الذي عليه جمهور المفسرين ، ولذلك أعقبت الآية بقول الله تعالى : (لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) .

(لاَ شَرِيكَ لَهُ) : أي يجب أن تمحض هذه العبادات لله دون إشراك .

(وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) : فيه احتمالان : –

أما الاحتمال الأول : فأولوية الزمن ، فهذه ليست إلا للنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالنسبة لأمته فهو أول من آمن من أمته ، وأمته نوعان : أمة الإجابة وأمة الدعوة ، فهو الأول عليهما .

وأما الاحتمال الثاني : فأول الملتزمين ، أي من باب الحكاية ، أي فأكون أول الملتزمين ، وهذا من الإنشاء الذي يقصد به إلزام النفس وهذا لا شيء فيه .

س١٦٢ : ما وجه الاستدلال بقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ " (م / ٥٢٤٠) ؟

ج : قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٥٨) : (وجه الاستدلال : أن من ذبح لغير الله لم يذبح لله ، وإنما ذبح لغيره ، أنه ملعون لعنه الله ، وهذا الدعاء من النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بقوله : " لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ " (م / ٥٢٤٠) يدل على أن الذبح لغير الله كبيرة من الكبائر ، وإذا كانت كذلك فهي إذن يُبغضها الله جل وعلا ، وإذا كان يُبغض الله جل وعلا الذبح لغيره ، معنى ذلك أن الذبح له وحده محبوب له ، في مقابلة ، فيستقيم بذلك الاستدلال) .

س١٦٣ : متى ينزل الشرك على فاعله ، (ما قول أهل السنة في هذه المسألة) ؟

ج : على مقامين : ١ – الحكم الوصفي المطلق على الفاعل ، فيقال : من ذبح لغير الله فقد كفر .

٢ – مقام التعيين ، كأن يعين شخصًا بأنه كافر ويترتب عليه أثره .

س١٦٤ : ما شروط التكفير العيني أو تكفير المعين ؟

ج : لا يجوز تنزيل التكفير العيني على أحد ثبت عليه عقد الإسلام بيقين إلا باستيفاء شروطه وهي :

١ – أن تقوم الحجة على وجه يفهمها . ٢ – أن يكون مكلفًا (فلو فعل الصبي كفرًا لا يكفر) .

٣ – أن لا يكون متأولاً ، وضابط التأويل : كما قال ابن حجر في الفتح : (أن يكون تأويلاً له مساغه في العلم واللغة ، مثاله : المأمون قال كفرًا وهو : خلق القرآن ولم يكفر الإمام أحمد المأمون وكان يدعو له)

س١٦٥ : (ما معنى النذر) وما حكمه وما حكم الوفاء به ، وما كفارته ؟

ج : هو : إلزام الإنسان نفسه شيئًا غير لازم بأصل الشرع ، أو هو إيجاب المرء على نفسه شيئًا لم يجب عليه كقوله : (لله عليّ أن أفعل كذا ...) .

حكمه : الجمهور على أنه مكروه ، لأن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نهى عنه وقال : " إِنَّهُ لاَ يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ " (م / ٤٣٢٧) .

حكم الوفاء به : يجب الوفاء به .

وكفارته كفارة يمين (إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو صيام ثلاثة أيام) .

س١٦٦ : علمنا أن العبادة : هي ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال ، والنذر مكروه فكيف يكون عبادة ، هل العبادة تكون مكروهة ؟

ج : ينقسم النذر إلى قسمين :

١ – نذر مطلق : وهو يكون من غير مقابلة ، وهذا غير مكروه كأن يقول مثلاً (لله على نذر أن أصوم غدًا) من غير مقابلة فهذا محمود .

٢ – نذر مقيد : وهو ما كان عن مقابلة كأن يقول مثلاً : إن شفى الله مريضي فلله عليّ أن أصوم كذا ، فهذا يوجب عبادة على نفسه بشيء يحدث له قدرًا ، فهذا مشروط وهو يعبد الله بالمقايضة ، إن فعلت يارب أفعل ، فهذا يستخرج به من البخيل ، فهذا النوع مكروه ، والنوع الأول محمود والوفاء بكلا النذرين واجب ، كما قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ " (خ / ٦٦٩٦) فتحصل عندنا أن النذر فيه أربعة أشياء :

١ – نذر محمود . ٢ – نذر مكروه . ٣ – الوفاء بالأول واجب . ٤ – الوفاء بالثاني واجب .

ويتحصل من هذه الأربعة الآتي : (اثنان الوفاء بهما واجب ، وواحد محمود) (وواحد مكروه) ، فغالب الحال أنه محمود فيها أو واجب لهذا صار عبادة من العبادات التي يحبها الله إلا حال واحدة وهي حال نذر المقابلة .

* * الأَصْلُ الثَّانِي * *

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ : الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ : الإِسْلامُ ، وَالإِيمَانُ ، وَالإِحْسَانُ . وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ .

المرتبة الأولى : الإسلام .

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ : شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ .

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران / ١٨) .

وَمَعْنَاهَا : لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الإِثْبَاتِ (لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ .

وَتَفْسِيرُهَا : الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الزخرف / ٢٦ – ٢٨) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران / ٦٤) .

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة / ١٢٨) .

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ : طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وَأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ .

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة / ٥) .

ودَلِيلُ الصِّيَام : قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة / ١٨٣) .

ودَلِيلُ الْحَجِّ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران / ٩٧) .

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ : الإِيمَانُ .

وَهُوَ : بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ .

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ : كما في الحديث : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " .

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ : قَوْلُهُ تَعَالَى : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) (البقرة / ١٧٧) .

ودليل القدر : قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر / ٤٩) .

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ : الإِحْسَانُ .

وله رُكْنٌ وَاحِدٌ . كما في الحديث : " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتَّقَواْ وَّالّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل / ١٢٨) . وقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الشعراء / ٢١٧ – ٢٢٠) . وقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) (يونس / ٦١) .

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ : حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ : عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ : (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَه إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا) . قَالَ : صَدَقْتَ . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ . قَالَ :(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ . قَالَ : (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) . قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ : (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا . قَالَ : (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ) . قَالَ : فَمَضَى ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا ، فَقَالَ : (يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ ؟) . قُلْنَا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم)

س١٦٧ : ما معنى قول المصنف (معرفة دين الإسلام بالأدلة) ؟

ج : من الأصول الثلاثة معرفة دين الإسلام ، والأدلة هي نصوص الكتاب والسنة الصحيحة .

س١٦٨ : ما المراد بقوله (دين الإسلام) ؟

ج : هو كما قال المصنف : (وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك . وهو ثلاث مراتب : الإسلام و الإيمان و الإحسان ، وكل مرتبة لها أركان .

قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٦٥) : (قال : (هو الاستسلام لله بالتوحيد) الاستسلام أن يكون فاعله ؛ فاعل الاستسلام كهيئة المستسلم ، والمستسلم لغيره تابع له لا يفعل إلا ما يريد ، خلُص قلبه إلا من رغبة من استسلم له ، ولو قال وهو الإسلام لله بالتوحيد لصح تعريفه ، فالاستسلام هنا بمعنى الإسلام ، وله أسلم ، (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) (الزمر / ٥٤) ، كلها بمعنى الاستسلام والإسلام ؛ الإسلام لله والاستسلام لله بمعنى واحد قيَّدَها في هذا الموضع بقوله (بالتوحيد) والتوحيد يشمل توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته ، والمقصود الأخص من هذه الثلاثة توحيد العبادة لأن الخصومة وقعت فيه ، ومعلوم أن توحيد العبادة متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات .

ثم قال (والانقياد له بالطاعة) الانقياد لله جل وعلا بالطاعة ، يعني أن يكون منقادًا غير ممانع ولا متولٍّ عن طاعة الله جل وعلا ، إنما ينقاد ويذعن ، كما قال جل وعلا : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) (النور / ٥٤) ، أمر بطاعة الله وطاعة رسوله ، يعني الانقياد لله وللرسول ، فيما أمر الله جل وعلا به وفيما أمر به النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قال فإن تولوا وأعرضوا ولم يذعنوا ولم ينقادوا (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ) يعني على الرسول (مَا حُمِّلَ) ما حمل إياه وهو الرسالة ، (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) وهو الاستجابة لله وللرسول ، فإذن هنا الانقياد له ، بالطاعة لله جل وعلا ، بطاعته وطاعة رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الذي بعث بهذا الإسلام الأخير .

قال (والبراءة من الشرك وأهله) ، فُسّرت البراءة بعدَّة تفسيرات أصلٌ وفروعه ؛ أصل البراءة البُغض في القلب ، يعني بغض الشرك وأهله ، ويتبع ذلك ؛ يتبع بُغضَهم معاداتُهم وتكفير من كفره الله جل وعلا ورسوله ؛ تكفير المشركين ومقاتلتهم عند مشروعية ذلك ، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت أيضًا ، فإن الكفر بالطاغوت هو بُغضه ومعاداة أهله ، وتكفير أهل الطاغوت ؛ وهم أهل عبادة غير الله جل وعلا ، وقتالهم عند مشروعية ذلك ، البراءة من الشرك أصلها البغض ، يتبع البغض أشياء ، أولا المعاداة ، ثانيًا التكفير ومعلوم أن التكفير تَبَعٌ للعلم ، ثم قتالهم عند مشروعية ذلك وذلك أيضًا مستلزم للعلم ، فتلخص أن على العامة وهم من ليسوا علماء عليهم من البراءة ، أصلها وهو البُغض ، وأما فروعها فإنما هي بحسب درجات العلم ، البغض لا بد أن يُبْغِض فإن لم يبغض الشرك فإنه ليس بمسلم ، إذا كان يحب الإسلام وأهله ، ويحب التوحيد وأهله ، ولكن لا يبغض الشرك وأهله فإنه ليس بمسلم . لكن قد يبغض الشرك وأهل الشرك باعتبار الأصل ، لكنه يحب بعض المشركين لغرض من أغراض الدنيا ، فهذا ليس بمشرك ، وإنما ناقص إسلامه ، كما أوضحت لكم فيما سبق في تقسيم الموالاة إلى موالاة وتولي ، المقصود من هذا أن مسألة البراءة هذه ؛ من الشرك وأهله ، أصل البراءة البغض يتبعها أشياء مثل : المعاداة ، التكفير ، المقاتلة ، وكلها تبع للعلم ، ويتنوع ذلك بحسب الناس ، وأسهل ما يكون في الموحدين ، عند الموحدين ، عند عامتهم ، معاداة المشركين ، ولو لم يكن عندهم من الحجة أو من بيان تكفيرهم ، ومن إقامة الدلائل على مشروعية مقاتلة أهل الشرك ، فإنه قائم في قلبه بغضهم ومعاداتهم ، وهذا به يحصل الإسلام .

إذن تعريف الإسلام شمل ثلاثة أشياء :

أولًا : الاستسلام لله بالتوحيد . ثانيًا : الانقياد لله بالطاعة . ثالثًا : البراءة من الشرك وأهله .

نلاحظ أنه بهذا شمل هذا التعريف معنى الشهادتين .

س١٦٩ : ما الفرق بين دين الإسلام وبين الإسلام ؟

ج : دين الإسلام مراتبه ثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان ، فالإسلام إذن هو مرتبة من مراتب دين الإسلام .

قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٦٦) : (دين الإسلام الذي جاء به محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثلاث مراتب ، قال الشيخ – يرحمه الله – (وهو ثلاث مراتب الإسلام) هذه مرتبة في دين الإسلام نتيجة هذه المرتبة أن يحكم لأهلها بأنهم مسلمون ، (والإيمان) ، ونتيجة هذه المرتبة أن يحكم لأهلها بأنهم مؤمنون ، (والإحسان) ، ونتيجتها أن يحكم لأهلها أنهم محسنون ، فالمحسن والمؤمن والمسلم ، الجميع من أهل دين الإسلام ، لكن لكل مرتبتُه الخاصة به ، هم درجات عند الله .

فالإسلام : هو إقامة الأعمال الظاهرة ؛ الشهادتين مع الأركان الأربعة المعروفة ؛ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، مع بعض الإيمان الذي يُصحح هذا الإيمان الظاهر .

والإيمان : الإيمان بأركانه الستة ؛ لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره مع بعض الإسلام الظاهر مع بعض العمل الظاهر الذي معه يصح هذا الإيمان الباطن .

والإحسان : هو مقام المراقبة لله جل وعلا .

– المرتبة الأولى : الإسلام .

س١٧٠ : ما المرتبة الأولى ؟ وما أركانها ؟ وما الدليل على هذه الأركان ؟

ج : المرتبة الأولى الإسلام ، وأركانه خمسة هي :

١) شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله . ٢) إقام الصلاة .

٣) إيتاء الزكاة . ٤) صوم رمضان . ٥) حج بيت الله الحرام .

والدليل على هذه الأركان الخمسة ما جاء في حديث جبريل : قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلٰه إِلا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا "

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " (خ / ٨ ، م / ١٢١) .

قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرح الأربعين النووية / ٧٢) : (هذا الحديث فيه ذكر دعائم الإسلام ومبانيه العظام ، وهي الخمس المعروفة : شهادة أَنْ لا إِلٰه إِلا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وهذه واحدة باعتبار أن كلا من شقيها شهادة ، والثاني : إقام الصلاة ، والثالث : إيتاء الزكاة ، والرابع : الحج ، والخامس : صوم

رمضان . وهذا الحديث من الأحاديث التي استدل بها على أن أركان الإسلام خمسة ، وهذا الاستدلال صحيح ؛ لأن قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بني الإسلام على خمس يدل على أن البناء يقوم على هذه الخمس ، وغير هذه الخمس مكملات للبناء ، ومعلوم أن البناء يحسن السكنى فيه ، ويكون جيدًا ، وفيه العبد سعيدًا إذا كان تامًا . وكلما كان أتم كان العبد فيه أسعد ، والإسلام إذا أتى العبد بمبانيه الخمس هذه فقد حقق الإسلام ، وكان له عهد عند الله – جل وعلا – أن يدخله الجنة .

قال في أوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ " ولفظ " بُني " يقتضي أن هناك من بناه على هذه الخمس ، فلم يذكر الباني على هذه الخمس ، والمقصود بالباني : الشرع أو المُشَرِّع .

فالذي بنى الإسلام على هذه الخمس هو الله – جل جلاله – وهو الشارع – جل وعلا – والنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُبَلِّغ عن ربه – جل وعلا – وليس هو شارعًا على جهة الاستقلال ، وإنما هو – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُبَلِّغ أو مشرِّع على جهة التبليغ) .

س١٧١ : بماذا فَسَّر المصنف الإسلام ؟ وهل التفسير شموليًا ؟ – مع التوضيح – .

ج : قال : هو الإستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

– وهذا التفسير ذو معنى خاص ، إذ إن الإسلام إذا أطلق يأتي على معنيين : خاص وعام

١ – الأول العام : الذي أذعن له النبيون ودعت إليه جميع الأنبياء والرسل ، وهو التوحيد وهو الإسلام .

٢ – الخاص : وهو ما شرعه الله لنبيه محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وربما وافق شرع غيره أو خالفهم زيادة على التوحيد ، وهذا خاص بالنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

– وتفسير المصنف يتعلق بالمعنى الخاص لا العام .

س١٧٢ : ما حقيقة الانقياد ؟

ج : تسليم النفس للغير (فيجب على الإنسان أن ينقاد لله بالطاعة محبة وتعظيمًا فيسلم نفسه لأمر الله)

س١٧٣ : ما الدليل على أن مراتب الإسلام ثلاث ؟

ج : دليلان :

١ – حديث جبريل عليه السلام .   ٢ – الإجماع ، وحكاه ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد وغيره .

س١٧٤ : ما معنى الشهادة ؟

ج : لغة : الإخبار والعلم ، وحقيقتها : أنها متركبة من شيئين :

١ – يتعلق بالله .   ٢ – يتعلق برسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

س١٧٥ : فيرد إيراد أن الأركان ستة لا خمسة لأن الشهادة شهادتين ، فيكف يرد ؟

ج : يرد من وجهين :

١ – الخبر : كما في حديث جبريل .

٢ – النظر : لأن الشهادتين أقيمتا مقام الواحدة لا الاثنتين بإحدى علتين : –

أ – لأن الشهادة الثانية فرع عن الأولى ، وإذا كان الأصل موجودًا مع ذكر الأصل ارجع الفرع إلى أصله (والأصل هي : شهادة أن لا إله لا الله) ، والفرع (أن محمدًا رسول الله) .

ب – أن يكون من باب التجوز وهو وارد في اللغة أن يتجوز في الإطلاق فيجعل الشيئان شيئًا واحدًا .

س١٧٦ : ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله ؟

ج : معناها : لا معبود بحق إلا الله .

س١٧٧ : اذكر بعض الفوائد المستبطة من قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الزخرف / ٢٦ – ٢٨) ؟

ج : ١– فيها دليل على وجوب البراءة من الشرك والمشركين .

٢ – فيها دليل على فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاحًا وأن الإنسان ينشِّأ أولاده ويربيهم ويورثهم الهدى والصلاح ، فإن قول إبراهيم – عليه السلام – جعلها باقية في ذريته .

٣ – دليل على أن الكمال العقلي والإدراك السليم أن يتبع المرء الهدى ولو خالفه أهله وقومه وأهل بلاده .

س١٧٨ : عَرِّف (الصلاة – الزكاة – الصيام – الحج) ؟

ج : الصلاة : من تعاريفها : هيئة مخصوصة بأفعال وأقوال مخصوصة تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم .

الزكاة : إخراج مال مخصوص من شيء مخصوص بطريقة مخصوصة وفق شروط مخصوصه .

الصيام : الإمساك بنية مخصوصة عن أشياء مخصوصة في وقت مخصوص من شخص مخصوص .

الحج : لغة : القصد ، وهو قصد بيت الله الحرام قصد عبادة في أيام مخصوصة .

س١٧٩ : أراد المصنف من خلال تفسير كلمة التوحيد أن يقرر شيئين فما هما ؟

ج : ١– أن كلمة التوحيد تحوي (نفيًا وإثباتًا) .

٢ – أن الإنسان لا يصح توحيده إلا بالجمع بين النفي والإثبات .

س١٨٠ : هل للإثبات شروط ؟

ج : شرطان :

١– أن يتعلق بالله .   ٢ – يتعلق باستحقاق الله لهذه العبادة .

س١٨١ : ما معنى لا إله إلا الله ؟

ج : قال المصنف – يرحمه الله تعالى – : ومعناها : لا معبود بحق إلا الله ؛ " لا إله " نافيًا جميع ما يعبد من دون الله " إلا الله " مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه .

قال الأسمري في (شرحه / ٩٦) : (قال المصنف – يرحمه الله – (ومعناه) : أي ومعنى الدليل الذي أوردناه آنفًا : (لا معبود حق إلا الله وحده) وذلك أن (لا) تسمى عند النحويين بالنافية للجنس ، وهذه لها اسم وخبر ، اسمها هو كلمة (إله) أما خبرها فمحذوف تقديره (حق) أو (بحق) فيكون التقدير : (لا إله حق إلا الله ، أو لا إله بحق إلا الله) وكلمة الله بعد أداة الاستثناء تكون بدلًا عن الضمير المتعلق بكلمة حق أو بحق ، لأنه يقال : حق أي : (هو) ، فهذا الضمير يأتي بدلاً عنه لفظ الجلالة الذي أتى بعد أداة الاستثناء ، وهو (الله) ولذلك يأخذ حُكْمَه ، فيكون مرفوعًا لرفع المبدل ، ومن ثم يبين أن جملة (لا إله إلا الله) لا بد لها من خبر ، وهذا الخبر يقدره عامة اللغويين والنحويين بقولهم موجودًا ، فيكون سياق الكلمة والجملة على تقدير النحويين واللغويين : (لا إله موجود إلا الله) و تقدير الخبر بهذا المعنى باطل لا يصح ؛ لأن هناك آلهة مع الله تعبد ، وهناك آلهة موجودة ، فكيف يُنفى وجود ما علم باليقين والمشاهدة والخبر وجوده ، فتعين أن يكون المقدر كلمة (حق) أو كلمة (بحق) .

ولذلك قال المصنف – يرحمه الله – : ومعناه – أي معنى الدليل – وهو يقصد الشهادة الواردة في قول الله (لا إله إلا هو) : لا معبود حق إلا الله وحده .

ثم قال المصنف – يرحمه الله – : (لا إله) نافيًا جميع ما يعبد من دون الله (إلا الله) مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه) .

أراد المصنف – يرحمه الله – من خلال هذا التفسير لكلمة (لا إله إلا الله) أن يقرر شيئين : –

أما الشيء الأول : فهو أن كلمة (لا إله لا إلا الله) تحوي نفيًا وإثباتًا ، أما النفي موجود في شق الجملة الأولى ، وهو (لا إله) لأن (لا) تسمى بالنافية ، فصح أن يكون نفيًا ، وأما الإثبات فموجود في شق الجملة الثاني وهو (إلا الله) لأن النفي إذا أعقب بالاستثناء كان ما بعد أداة الاستثناء يخالف المستثنى في الحكم ، فكان ثابتًا ، ولذلك كان إثباتًا ، ومن ثم يبين أن جملة (لا إله إلا الله) تحوي نفيًا وإثباتًا .

وأما الشيء الثاني : فهو أن الإنسان لا يصح توحيده إلا بأن يجمع بين هذين الأمرين ، بين إثبات وبين نفي ، أما الإثبات فله شرطان : –

أما الشرط الأول : فهو أن يتعلق بالله – سبحانه وتعالى – .

وأما الشرط الثاني : فهو يتعلق باستحقاق الله – سبحانه وتعالى – لهذه العبادة .

وأما وجود العبادة لله دون استحقاق ، فهذا يقول به المشركون وغيرهم ، وأما النفي فلابد فيه من التعميم ، وأما جعل النفي على أناس أو معبودات دون معبودات وأناس ، فلا يصح بل يعمم النفي على جميع الأشياء من جمادات أو حيوانات أو غيرها .

فلا معبود بحق سواه – سبحانه وتعالى – ، أما غيره فباطل ، ومن ثم فيقال خلاصة ما أراده المصنف – يرحمه الله – في المعنى الثاني هو : أن الإنسان لكي يصح توحيده لا بد أن يُوحِّد الله حقًا في عبادته ، ويكفر بجميع المعبودات ، وأما أن يقول أنا موحد ولا يكفر بكفر الكافرين والمعبودات من دون الله فتوحيده لا يتم .

وفي قول المصنف – يرحمه الله – (كما أنه ليس له شريك في ملكه) إشارة إلى أن توحيد الربوبية ثابت عند الناس بفطرهم وعقولهم السليمة ، فيستدل به على وجوب تجريد توحيد العبادة .

ومن ثَمَّ يقال عنى المصنف – يرحمه الله – بقوله (كما أنه ليس له شريك) إلى آخره ، الاستدلال بأمرين : –

أما الأمر الأول : فبشيء ثابت في الفطر على شيء وقعت المخالفة عليه ، الثابت في الفطر والعقول توحيد الله في ربوبيته ، ومن صفات الربوبية صفة الملك ، والمختلف فيه هو توحيد الآلهية ، فصح الاستدلال بالثابت على المختلف فيه ، وهذه قاعدة كلية تعمل عند الخلاف .

أما الأمر الثاني : فهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على وجوب تجريد الله في العبادة .

س١٨٢ : ما تفسير لا إله إلا الله ؟

ج : قال المصنف – يرحمه الله – : (وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الزخرف / ٢٨). وقوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران / ٦٤)) .

قال الأسمري في (شرحه / ٩٧) : (قول المصنف – يرحمه لله – : (وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ ...)

هذه الجملة في ما حكاه الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ونبيه إبراهيم – عليه السلام – فيها دلالة على ما سبق ، من وجود الإثبات والنفي حتى يصح التوحيد ، أما الإثبات : ففي قول إبراهيم – عليه السلام – (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) . وأما النفي : فموجود في قول إبراهيم – عليه السلام – المحكي في الآية ، وهو قوله : (إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ) ، وهذا اجتمع فيه ما أراده المصنف – يرحمه الله – .

ثم قال – يرحمه الله – : وقوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) الآية ، وفيها دلالة على المقصود ، حيث اجتمع فيها الإثبات والنفي ، أما الإثبات ففي قوله (إلا الله) ، وأما النفي ففي موضعين ، أحدهما قوله سبحانه (ألا نعبد) والآخر قوله (وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ) ، وهذا فيه دلالة على ما أثبته المصنف – يرحمه الله –) .

س١٨٣ : ما تفسير (شهادة أن محمدًا رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) ؟

ج : ترجع إلى اجتماع أربعة أمور :

١– طاعته فيما أمر والطاعة نوعان :

أ – طاعة تحفظ للإنسان أصل إيمانه . ب – طاعة زائدة عن الأولى .

٢ – تصديقه فيما أخبر : والإخبار من حيث سلب الإيمان أو عدمه نوعان :

أ – أخبار متواترة مستفيضة إن كذب بها الإنسان كفر (كتكذيب قيام الساعة وغيرها) .

ب – أخبار خفية دقيقة غير متواترة ، فجماهير أهل السنة على أن من كذّب بها وأنكرها لا يكفر ، حكاه ابن تيمية في الفتاوى ومنهاج السنة .

٣ – اجتناب ما نهى عنه وزجر .

س١٨٤ : ما معنى : (نهى – زجر) ؟ وما الفرق بينهما ؟

ج : الزجر هو : النهي بشدة ، والنهي أعم من الزجر .

و الفرق بينهما : أن النهي : لا يكون فيه تشديد عند إيقاعه . والزجر : أن يغلظ في النهي ويشدد فيه .

والنهي من حيث بقاء أصل الإيمان وعدمه نوعان :

أ – ما نهى عنه نهيًا ولو وقع المكلف فيه لكفر وخلع عنه ربقة الإسلام ، مثال (الشرك الأكبر وتولي الكافرين)

ب– نهي أقل من الأول: وهو يأتي على دركات ، الدركة التي يأثم الإنسان بالوقوع فييها الكبائر من المحرمات.

٤ – الأمر الرابع : (وألا يعبد الله إلا بما شرع) : أن تكون العبادة من المكلف لله متابعًا فيها رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وليس بالبدع ولو ظن الإنسان أنها حسنة .

س١٨٥ : ما مدار التعلق في تفسير هذه الشهادة – أو – (إلام ترجع هذه الأربع السابقة) ؟

ج : ترجع لأمرين : ١ – ما يتعلق بالخبر حيث يجب تصديقه .

٢ – ما يتعلق بالإنشاء حيث يجب الطاعة والامتثال ويدخل فيها فعل الواجبات وترك المنهيات .

س١٨٦ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) (البقرة / ١٨٣) ما معنى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ) ؟

ج : الكتابة نوعان : ١ – كتابة قدرية (أن يكتب الله ما يقدره) .

٢ – كتابة شرعية : ويقصد بها الأمر ، يقال : (كتب الله على عباده كذا) أي أمرهم بكذا .

س١٨٧ : كيف يستدل بآية : (ولله على الناس) بالوجوب ؟

ج : صيغ الأمر الدالة على الوجوب عند الأصوليين :

١ – صيغ لفظية مثل : (أمر الله ، و أوجب الله) ونحو ذلك .

٢ – ما يؤخذ بمساق الكلام لا بلفظه أو ألفاظ غير صحيحة ، فقد يكون مساق الجملة دالاً على الوجوب مثاله : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ ....) (البقرة / ٩٧) لأن هذه الآية بهذا المساق تدل على الأمر .

س١٨٨ : ما المرتبة الثانية ؟ واذكر بعض شعبها ؟

ج : قال المصنف – يرحمه الله – : المرتبة الثانية : الإِيمَانُ : وهو بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ . (م / ١٦٢) .

س١٨٩ : عَرِّف الإيمان لغة وشرعًا ؟

ج : لغة : له معنى قريب من معنى الإقرار ، ولا نقول الإيمان لغة : التصديق (كما هو مشهور) بل يشمل التصديق وزيادة [١] .

شرعًا : عرَّفه ابن تيمية بقوله : قول وعمل ، قول القلب وعمله ، وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح .

س١٩٠ : ما المراد بلفظ " بِضع " ؟

ج : البضع بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة .

س١٩١ : ما المراد بلفظ " شعبة " ؟

ج : الشعبة هي الجزء من الشيء .

س١٩٢ : هل الإيمان يزيد وينقص ؟

ج : عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، قال البخاري : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف في الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

س١٩٣ : ما الدليل على الزيادة ؟

ج : قوله تعالى : (لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح / ١) و (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا) (المدثر / ٣١) و (وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (الأحزاب / ٢٢) وغيرها كثير .

س١٩٤ : وما الدليل على النقصان ؟

ج : قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ...) (خ / ٣٠٤) .

---

(١) تفسير الإيمان بمعنى التصديق أنكره غير واحد من المحققين المحررين كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ، وقالوا بأن الإيمان ليس بمعنى التصديق ولا يرادفه التصديق ؛ لأن في اللغة ليس هناك كلمة بمعنى كلمة أخرى من كل وجه هذا أولاً ، في اللغة ليس هناك كلمة بمعنى كلمة أخرى من كل وجه ، يعني لا نقول مثلاً بأن الإيمان بمعنى التصديق هكذا من كل وجه ، فهذا غير موجود أصلاً في اللغة ، الأمر الثاني : عندما ننظر إلى الاستعمالات اللغوية لكلمة الإيمان والاستعمالات اللغوية لكلمة التصديق نجد أن هناك فروقًا كثيرة أثبتها شيخ الإسلام في أكثر من ثمانية أوجه جمعها في كتابه القيم : " الإيمان الأوسط " ، فمن هذه الفروق أن التصديق يتعدى بنفسه كما يتعدى بالأداة ، فتقول : صدقته ، وتقول : صدقت به ، صدقته : فتعدى هنا بنفسه ، وصدقت به : تعدى بحرف الباء ، أما الإيمان فإنه لا يتعدى بنفسه أبدًا فلا تقول : آمنته ، وإنما لا يتعدى إلا بماذا ؟ إلا بالأداة ، تقول : آمنت به ، وآمنت له ، ومنه قول الله – عز وجل – : (أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ) (الشعراء / ١١١) وقول الله – عز وجل – في النبي – عليه الصلاة والسلام – : (يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) (التوبة / ٦١) فالإيمان يتعدى بالباء كما يتعدى أيضًا باللام ، فلفظ الإيمان لا يأتي إلا متعديًا بالأداة ، أما لفظ التصديق فإنه قد يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالأداة ، ففارق هنا لفظ التصديق لفظَ الإيمان من حيث الاستعمال اللغوي ، وهناك وجوه كثيرة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – من ذلك مثلاً : أن التصديق إنما يكون في الأخبار وأما الإيمان فإنه أوسع من ذلك ، ليشمل الأمور الثابتة المقررة ، وبالتالي يميل شيخ الإسلام إلى تفسير الإيمان لغة بمعنى الإقرار ، يميل شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – لغة أن يفسر الإيمان بمعنى الإقرار ؛ لأن الإقرار معناه : الرضا المستلزم الانقياد والطاعة ، هذا معنى الإقرار ، إذن الإقرار معناه الرضا المستلزم الانقياد والطاعة ، ولذلك قال شيخ الإسلام – يرحمه الله – بأن تفسير الإيمان بمعنى الإقرار أولى من تفسيره بمعنى التصديق . =

س١٩٥ : الوارد في الحديث : (ناقصات دين) ولم يقل ناقصات إيمان فهل الدين هو الإيمان ؟ وما الدليل ؟

ج : (الإسلام ، الإيمان ، الإحسان ، الدين ، البِرّ) إذا أطلق إحدى هذه الألفاظ فيشمل جميع معانيها ، وإذا اجتمعت كان لكل منها معنى مستقل (إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت) .

فإذا اجتمعا في نص كان لكل منها كلمة بمعنى مستقل ، وإذا افترقا في النص بأن تأتي إحدى هذه الألفاظ وحدها (فتجتمع في المعنى) .

دليل ذلك : حديث جبريل لما سأل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن الإسلام والإيمان والإحسان قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في آخره : (هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ) (خ / ٥٠) قال البخاري : جَعَلَ ذَلِك كُلَّهُ مِنْ الْإِيمَانِ .

= وقال فضيلة الشيخ / علي بن عبد العزيز بن علي الشبل في رسالته (مسألة الإيمان دراسة تأصيلية) : ذهب كثير من المتكلمين وغيرهم ؛ بل هو العُمدة عند جماهير المرجئة أن الإيمان في مفهوم اللغة العربية هو مجرد التصديق ، استدلالاً بقوله تعالى في أول سورة يوسف : (وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) (يوسف : ١٧) .

* الصواب : أن معنى الإيمان في اللغة ليس مرادفًا للتصديق ، بل التصديق وزيادة ، من الإقرار والإذعان والتسليم ونحوها ، لعدة اعتبارات .

أن معنى الآية في الحقيقة : ما أنت بمُقرٍّ لنا ولا تطمئن إلى قولنا ولا تثق به ولا تتأكد منه ولو كناً صادقين ، فإنهم لو كانوا كذلك فصدقهم ، لكنه لم يتأكد ولم يطمئن إلى قولهم . وهذه بلاغة في اللغة . وأن لفظة الإيمان يقابلها الكفر ، وهو ليس التكذيب فقط بل قدر زائد عليه ، وإنما الكذب يقابل لفظة التصديق . فلما كان الكفر في اللغة ليس مقصورًا على التكذيب ، فكذلك ما يقابل الكفر وهو الإيمان لا يقابل التصديق ، وليس مقصورًا عليه . أن لفظ الإيمان لا يستعمل في جميع الأخبار المشاهدة وغيرها ، وإنما يُستعمل في الأمور الغائبة مما يدخلها الريب والشك ، فإذا أقر بها المستمع قيل آمن ، بخلاف التصديق ، فإنه يتناول الإخبار عن الغائب والشاهد ، وإخوة يوسف أخبروا أباهم عن غائب غير مشاهد فصح أن الإيمان أخص من التصديق . أن لفظ الإيمان تكرر في الكتاب والسنة كثيرًا جدًا ، وهو أصل الدين الذي لا بد لكل مسلم من معرفته ، فلابد أن يؤخذ معناه من جميع موارده التي ورد فيها في الوحيين لا من آية واحدة ؛ الاحتمالُ مُتطرق إلى دلالتها ! أن الإيمان مخالف للتصديق في الاستعمال اللغوي وفي المعنى : فأما اللغة فقد مضت في الجواب الثالث ؛ فالاستعمال اللغوي للإيمان يُتعدى فيه إلى المُخبِر باللام وإلى المُخبَر عنه بالباء

كقوله تعالى : (فَـَٔامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) . أما المعنى : فإن الإيمان مأخوذ من الأمن وهو الطمأنينة ، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرَّ يَقُر ، وهو قريب من آمن يأمن ، وأما الصدق فهو عدم الكذب ، ولا يلزم أن يوافقه طمأنينة إلا إذا كان المُخبر الصادق يُطمئن إلى خبره وحاله . أن لفظ الإيمان يتعدى إلى غيره باللام دائمًا نحو قوله تعالى : (فَـَٔامَنَ لَهُ لُوطٌ) (العنكبوت / ٢٦) ، وقول فرعون في الشعراء : (ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ) (الشعراء / ٤٩) ، وقوله تعالى في يونس : (فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ) (يونس / ٨٣) ، وقوله : (أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) (المؤمنون / ٤٧) . وقوله : (أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ) (الشعراء / ١١١) ، وآيات عديدة . أما لفظ التصديق وصدق ليصدق فإنه يتعدى بنفسه نحو : قوله تعالى في الصافات : (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) (الصافات / ١٠٥) . وفي أولها : (بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) (الصافات / ٣٧) . وفي سورة الزمر : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ) (الزمر / ٧٤) فكلها بمقابل الكذب .

لو فرضنا أن معنى الإيمان لغة التصديق ، لوجب أن لا يختص بالقلب فقط بل يكون تصديقًا باللسان ، وتصديقًا بالجوارح كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – " العينان تزنيان .. " الحديث . كذلك لو قلنا : إن الإيمان أصله التصديق ، فإنه تصديق مخصوص ، كما أن الصلاة دعاء مخصوص ، والصوم إمساك مخصوص يتبيَّن بالمعنى الشرعي حيث يكون للتصديق لوازم شرعية دخلت في مسماه .

س١٩٦ : إذا سُئلتَ هل أنت مؤمن فهل تقول : (أنا مؤمن إن شاء الله) وبماذا تُعرف هذه المسألة ؟

ج : تعرف هذه المسألة بـ (الاستثناء في الإيمان) واختلف الناس فيها على ثلاثة أقوال :

١ – تحريم الاستثناء : وهو قول المرجئة والجهمية وغيرهم ، لأن الإيمان عندهم شيء واحد فإن استثنى منه كان دليلاً على شَكِّه فيسمون الذين يستثنون (شَكَّاكة) .

٢ – وجوب الاستثناء : وله مأخذان : أ – أن الإيمان هو الذي يموت الإنسان عليه (بحسب الموافاة) وهذا شيء مستقبل غير معلوم فلا يجوز الجزم به .

ب – أن الإيمان المطلق يتضمن فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات وهذا لا يجزم به الإنسان من نفسه ولو جزم به كان قد زَكَّى نفسه وشهد لها أنها من المتقين الابرار .

٣ – التفصيل : فإن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم بل كفر لأن الإيمان جزم والشك ينافيه ، وإن كان صادرًا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولاً وعملاً واعتقاد فهذا (واجب) خوفًا من المحظور .

س١٩٧ : (إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) (م / ١٦٢) ما معنى الطريق ؟

ج : أي الذي تطرقه الأقدام ، أما الطريق المهجور الذي لا تطرقه الأقدام فلا يُسمى طريقًا ، لأن كلمة الطريق أصلها هو ما سمع للأقدام عليه طرق ، وإما المهجور : فهذا لا يدخل في المقصود هنا ، لأن العلة وراء ذلك إزالة ما يتأذى منه الناس ، وإذا كان مهجورًا فالمعنى ينتفي .

س١٩٨ : ما معنى (الحياء) ؟

ج : الحياء خلة تحجز صاحبها عما يُتنزَّه عنه .

س١٩٩ : كم أركان الإيمان مع ذكر الدليل ؟

ج : قال المصنف : أركانه ستة : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...) (البقرة / ١٧٧) .

ودليل القدر قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر / ٤٩) .

س٢٠٠ : لماذا قُيِّدت أركان الإيمان بست أركان ؟

ج : قال الأسمري في (شرحه / ١٠٥) : إنما كانت ستة لدليلين : –

أما الدليل الأول : فما جاء في خبر جبرائيل وغيره .

وأما الدليل الثاني : فالإجماع ، حيث أجمع المسلمون على ذلك ، وقد حكى إجماعهم غير واحد ، ومن أولئك ابن منده في كتابه (الإيمان) ، وكذا النووي في (شرحه على مسلم) وجماعة .

س٢٠١ : عَرِّف الركن ؟

ج : الركن هو ما لا يتم الشيء إلا به ولا يتحقق إلا بوجوده ويكون داخل ماهية الشيء كأركان الصلاة مثلاً .
قال الشيخ خالد بن عبد الله المصلح في (شرحه / ٥٥) : (والركن هو الذي لا يقوم الشيء إلاّ به ، ففهمنا من هذا : أن اختلال وصفٍ من هذه الأوصاف المذكورة ثلمةٌ في الإيمان ، تؤدي وتفضي بصاحبها إلى ارتفاع وصف الإيمان عنه ، فمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لكن لم يؤمن بالقدر فإنه لا يكون مؤمنًا ، ولا يستحق وصف الإيمان ، لأنه فقد ركنًا من أركان الإيمان الذي لا يثبت ولا يقر إلاّ به .

س٢٠٢ : كيف نوفِّق بين قول المؤلف – يرحمه الله تعالى – : " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً " وبين قوله : (أركانه ستة) ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٧٦) : (والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف – يرحمه الله تعالى – من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول : الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل – عليه السلام – حينما سأل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن الإيمان فقال : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " (م / ١٠٢) .
وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شبعة ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانًا في قوله : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (البقرة / ١٤٣) قال المفسرون يعني صلاتكم إلى بيت المقدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس) .
وقال الأسمري في (شرحه / ١٠٥) : (الإيمان له إطلاقان : –
إطلاق عام : يشمل الدين وأجزاءه وهذا هو المقصود في قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) (م / ٩) .
وإطلاق خاص : وهذا هو المتعلق بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخر الحديث الذي سيذكره المصنف – يرحمه الله – .

س٢٠٣ : الإيمان بالله ماذا يشمل ؟

ج : يشمل أربعة أمور : ١ – بوجوده . ٢ – بربوبيته . ٣ – بألوهيته . ٤ – بأسمائه وصفاته .

س٢٠٤ : ما معنى الإيمان بربوبيته ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين – يرحمه الله – في (شرحه / ٨٠) : (أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين .
والرب : من له الخلق والملك ، والأمر ، فلا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا هو ، ولا أمر إلا له ، قال تعالى :
(أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) (الأعراف / ٥٤) وقال : (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ) (فاطر / ١٣) .

ولم يعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه ، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول ، كما حصل من – فرعون – حين قال لقومه : (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) (النازعات / ٢٤) وقال : (يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي) (القصص / ٣٨) لكن ذلك ليس عن عقيدة ، قال الله تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) (النمل / ١٤) وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا) (الإسراء / ١٠٢) .

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى ، مع إشراكهم به في الألوهية ، قال الله تعالى : (قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) (المؤمنون / ٨٤ – ٨٩) .

وقال الله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (الزخرف / ٩) وقال : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الزخرف / ٨٧) .

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته ، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادت وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته ، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعًا في العبادات أو حاكمًا في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان .

س٢٠٥ : ما معنى الإيمان بألوهيته ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٨٢) : (أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و " الإله " بمعنى المألوه " أي " المعبود حبًا وتعظيمًا ، وقال الله تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة / ١٦٣) وقال تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران / ١٨) . وكل ما اتخذ إلها مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة ، قال الله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (الحج / ٦٢)

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة) : (إِن إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) (النجم / ٢٣) وقال عن هود أنه قال لقومه : (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) (الأعراف / ٧١) وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) (يوسف / ٣٩ – ٤٠) ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم (اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف / ٥٩) ولكن أبى ذلك المشركون ، واتخذوا من دون الله آلهة ، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم ، ويستغيثون .

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين :

الأول : أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية ، فهي مخلوقة لا تخلق ، ولا تجلب نفعاً لعابديها ، ولا تدفع عنهم ضررًا ، ولا تملك لهم حياة ولا موتًا ، ولا يملكون شيئًا من السماوات ولا يشاركون فيه .

قال الله تعالى : (وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا) (الفرقان/ ٣) .

وقال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (سبأ / ٢٢– ٢٣) .

وقال : (أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) (الأعراف / ١٩١– ١٩٢) .

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة ، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه ، وأبطل الباطل .

الثاني : أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة / ٢١ – ٢٢) وقال : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الزخرف / ٨٧) وقال : (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (يونس / ٣١ – ٣٢) .

س٢٠٦ : ما معنى الإيمان بأسمائه وصفاته ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٨٥) : (أي (ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو سنة رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، قال الله تعالى : (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (الأعراف / ١٨٠) وقال : (وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الروم / ٢٧) وقال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (الشورى / ١١) .

س٢٠٧ : ما ثمرات الإيمان بالله تعالى ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٨٦) : (الإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها :

الأولى : تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ، ولا خوفًا ، ولا يعبد غيره .

الثانية : كمال محبة الله تعالى ، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا .

الثالثة : تحقيق عبادته بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه .

س٢٠٨ : كيف نؤمن بالملائكة ؟

ج : ١ – بوجودهم وأنهم جنس مخلوق . ٢ – بوظائفهم المعزوة إليهم .

٣ – بأسمائهم (كجبريل وإسرافيل) .

٤ – بصفاتهم كما رأى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ (م / ٤٥٠) .

س٢٠٩ : ما ثمرات الإيمان بالملائكة ؟

ج : والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها :

الأولى : العلم بعظمة الله تعالى ، وقوته ، وسلطانه ، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق .

الثانية : شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم .

الثالثة : محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى .

س٢١٠ : وماذا يشمل الإيمان بالكتب ؟

ج : ١ – بكونها مُنَزَّلة من عند الله . ٢ – الإيمان بما جاء بها من أخبار .

٣ – العمل بما أُمر العبد فيها من مأمورات . ٤ – الانتهاء عما نهى العبد عنه فيها .

س٢١١ : ما معنى الإيمان بالكتب السماوية ؟

ج : قال الشيخ ابن عثيمين في (شرحه / ٩١) : الكتب : جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب) .

والمراد بها هنا : الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق ، وهداية لهم ، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة .

س٢١٢ : ماذا يتضمن الإيمان بالكتب ؟

ج : قال الشيخ ابن عثيمين في (شرحه / ٩١) : (الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًا .

الثاني : الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، والتوراة التي أنزلت على موسى – عليه السلام – ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى – عليه السلام – ، والزبور الذي أوتيه داود – عليه السلام – ، وأما ما لم نعلم اسمه فتؤمن به إجمالاً .

الثالث : تصديق ما صح من أخبارها ، كأخبار القرآن ، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة .

الرابع : العمل بأحكام ما لم ينسخ منها ، والرضا والتسليم به سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى : (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) (المائدة / ٤٨) أي (حاكمًا عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن) .

س٢١٣ : ما هي ثمرات الإيمان بالكتب ؟

ج : قال الشيخ ابن عثيمين في (شرحه / ٩٢) : (والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها :

الأولى : العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به .

الثانية : العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ، كما قال الله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة / ٤٨) .

الثالثة : شكر نعمة الله في ذلك .

س٢١٤ : ما حقيقة الإيمان بالرسل ؟

ج : يشمل أربعة أمور :

١ – الإيمان بأنهم مرسلون من عند الله .

٢ – الإيمان بالأخبار التي يأتون بها تصديقًا .

٣ – الائتمار بما أمروا به .

٤ – الانزجار عما زجروا عنه .

س٢١٥ : ما معنى الإيمان بالرسل ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٩٣) : الرسل : جمع رسول بمعنى (مرسل) أي مبعوث بإبلاغ شيء .

والمراد هنا : من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – في حديث الشفاعة أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر ، إليهم ويقول : " ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ " (خ / ٤٤٧٦) – وذكر تمام الحديث .

وقال الله تعالى في محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (الأحزاب / ٤٠) . ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه ، أو نبي يوحي إليه بشريعة من قبله ليجددها ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل / ٣٦) . والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، قال الله تعالى عن نبيه محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهًا عند الله : (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأعراف / ١٨٨) . وتلحقهم خصائص البشرية من المرض ، والموت ، والحاجة إلى الطعام والشراب ، وغير ذلك ، قال الله تعالى عن إبراهيم – عليه السلام – في وصفه لربه تعالى : (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (الشعراء / ٧٨ – ٧٩) .

س٢١٦ : ما ثمرات الإيمان بالرسل ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٩٦) : (وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها :

الأولى : العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .

الثالثة : محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم ، والثناء عليهم بما يليق بهم ، لأنهم رسل الله تعالى ، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ رسالته ، والنصح لعباده .

وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٤) قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً) (الإسراء / ٩٤ – ٩٥) فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشرًا لأنه مرسل إلى أهل الأرض ، وهم بشر ، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولاً ، ليكون مثلهم ، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا : (إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ) (إبراهيم / ١٠– ١١) .

س٢١٧ : ما معنى الإيمان باليوم الآخر ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٩٨) : (اليوم الآخر : يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء . وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم)

والإيمان به يعني الإيمان بكل ما سيقع بعد الموت .

س٢١٨ : ماذا يتضمن الإيمان باليوم الآخر ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ٩٨) : (الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول : الإيمان بالبعث : وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير مختتنين ، قال الله تعالى : (كما بدأنا أول خلق نعيد وعدًا علينا إنا كنا فاعلين) (الأنبياء / ١٠٤) . والبعث : حق ثابت دل عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين . قال الله تعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) (المؤمنون / ١٥– ١٦) .

وقال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (خ / ٨٠٦ ، م ٧٢٣٣)) .

وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادا يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله ، قال الله تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا

تُرْجَعُونَ) (المؤمنون / ١١٥) وقال لنبيه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) (القصص / ٨٥) .

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء : يحاسب العبد على عمله ، ويجازى عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) (الغاشية / ٢٥ – ٢٦) وقال : (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) (الأنعام / ١٦٠) وقال : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (الأنبياء : ٤٧) ، وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، والعمل بما يجب العمل به منه ، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم ، وذرياتهم ، ونسائهم ، وأموالهم . فلو لم يكن حساب ، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ) (الأعراف / ٦ – ٧) .

الثالث : الإيمان بالجنة والنار ، وأنهما المآل الأبدي للخلق ، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين ، الذين ءامنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به ، وقاموا بطاعة الله ورسوله ، مخلصين لله متبعين لرسوله . فيها من أنواع النعيم مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " . قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (البينة / ٧ – ٨) .

س٢١٩ : ما يلحق الإيمان باليوم الآخر ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ١٠١) : (ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل :

(أ) فتنة القبر : وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ، ودينه ، ونبيه ، فيثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت ، فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبي محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – . ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه ، هاه ، لا أدري . ويقول المنافق أو المرتاب لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته .

(ب) عذاب القبر ونعيمه : فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى : (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) (الأنعام / ٢٣) .

وقال تعال في آل فرعون – : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (غافر / ٤٤) . وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ

عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ " . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ : " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ " . قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ فَقَالَ : " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ " . قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ . قَالَ : " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ " . قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ : " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ " . قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ . (م / ٧٣٩٢) .

س٢٢٠ : كيف ترد على من أنكر عذاب القبر ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ١٠٦) : (لقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر ، ونعيمه ، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع ، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق . وهذا الزعم باطل بالشرع ، والحس ، والعقل .

أما الشرع : فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر ، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر . وفي صحيح البخاري – من حديث – ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما – قال : " مَرَّ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ ، أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ " (خ / ٢١٦) .

وأما الحس : فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه ، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه ، وربما يستيقظ أحيانًا مما رأى ، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه ، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى " وفاة " قال الله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) (الزمر / ٤٢) .

وأما العقل : فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع ، وربما رأى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على صفته ، ومن رآه على صفته فقد رآه حقًا ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيدًا عما رأى ، فإن كان هذا ممكنًا في أحوال الدنيا ، أفلا يكون ممكنًا في أحوال الآخرة ؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق ، فجوابه من وجوه منها :

الأول : أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات قال المتنبي :

وكَمْ مِنْ عائِبٍ قَولاً صَحيحًا ... وَآفَتُهُ منَ الفَهمِ السَّقيمِ

الثاني : أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس ، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب ، ولتساوى المؤمنون بالغيب ، والجاحدون في التصديق بها .

الثالث : أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره ، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش ، أو في مكان واسع بهيج ، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه

غطائه ، ولقد كان النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يوحي إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي ، ولا يسمعه الصحابة ، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه والصحابة لا يرون الملك ، ولا يسمعونه .

س٢٢١ : ما ثمرات الإيمان باليوم الآخر ؟

ج : للإيمان بالبعث واليوم الآخر ثمرات منها :

١) الإيمان بالبعث واليوم الآخر يحمل الإنسان على العمل والاستعداد له : قال تعالى (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف / ١١٠) . وقال تعالى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) (الإنسان / ٧) .

٢) الإيمان بالبعث واليوم الآخر يحمل الإنسان على الثبات عند لقاء العدو والصبر على الشدائد ، كما قال تعالى في طالوت وجنوده حينما لقوا عدوهم الذي يفوقهم في الكثرة والعُدد كما قال تعالى : (لَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة / ٢٤٩) .

٣) إنَّ عدم الإيمان باليوم الآخر يحمل الإنسان على الكفر والمعاصي والظلم والعدوان والبغي والفساد :

١ – قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُون * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (يونس : ٨) .

٢ – قال تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِين) (الماعون / ٣) . ولهذا أمر الله تعالى بإتقاء ذلك اليوم والاستعداد له بالأعمال الصالحة التي تنجي من أهواله كما قال تعالى : (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) (البقرة / ٢٨١) . وقال تعالى : (وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ) (البقرة / ٤٨) .

الركن السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره .

س٢٢٢ : ما معنى الإيمان بالقدر ؟

ج : الإيمان بالقدر هو : إن الله تعالى قدَّر الأشياء في القدم وعَلِم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وفي أمكنة معلومة وهي تقع على حسب ما قدره وقضاه .

والدليل كما قال المصنف – يرحمه الله – : قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر / ٤٩) .

س٢٢٣ : ما مراتب الإيمان بالقدر ؟

ج : قال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٨٠) : (الإيمان بالقدر ، تحقيق هذا الركن أن يعلم ويعتقد ؛ يؤمن بأن كل شيء يحدث في هذا الملكوت بخلق الله ، قد سبق به قدر ، وأن الله جل وعلا عالم بهذه

الأحوال وتفصيلاتها بخلقه قبل أن يخلقهم ، وكتب ذلك ، وإذا آمن أن كل شيء قد سبق به قدر الله فيكون حقق هذا الركن ، والإيمان بالقدر ؛ الإيمان الواجب يكون على مرتبتين :

المرتبة الأولى : الإيمان بالقدر السابق لوقوع المقدر : وهذا يشمل درجتين :

الأولى العلم السابق : فإن الله جل وعلا يعلم ما كان وما سيكون وما يكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، علم الله السابق بكل شيء بالكليات و بالجزئيات ، بجلائل الأمور وبتفصيلات الأمور ، هذا العلم السابق كما قال جل وعلا : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الحج / ٧٠) ، وقال جل وعلا : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام / ٥٩) ، فبيَّن الله جل وعلا أن علمه بالأشياء سابق ، وأنه يعلم كل شيء ؛ الكليات والجزئيات ، الأمور الجلية وتفاصيل الأمور ، هذا العلم الأول ، وهذا العلم لم يزل الله جل وعلا عالمًا به ، علمه جل وعلا بهذه الأشياء بجميع تفاصيل خلقه ، عِلْمُه بها أَوَّل يعني ليس له بداية .

الدرجة الثانية الكتابة : أن يؤمن العبد أن الله جل وعلا كتب ما الخلق عاملون ، كتب أحوال الخلق وتفصيلات ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وذلك عنده في كتاب جعله في اللوح المحفوظ ، كما قال جل وعلا (وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (الأنعام / ٥٩) فأثبت أنه في كتاب وقال جل وعلا (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) (القمر : ٥٣) ، يعني قد سُطِّر وكُتِب في اللوح المحفوظ ، وقال جل وعلا (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (الحج / ٧٠) ، بيّن أن كل شيء إنما هو في كتاب ، وهذا قد جاء أيضًا في صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " (م / ٦٩١٩) .

هاتان الدرجتان في المرتبة الأولى ؛ المرتبة الأولى تسبق وقوع المقدر ، هذه المرتبة الأولى تحوي درجتين .

المرتبة الثانية : أيضًا تحوي درجتين وهي تواكب أو تقارن وقوع المقدر :

أولى الدرجتين : الإيمان بأن مشيئة الله جل وعلا نافذة : وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون ، فليس ثَمَّ شيء يحدث ويحصل في ملكوت الله جل وعلا إلا وقد شاءه الله جل وعلا ، وقد أراده الله جل وعلا كونًا ، سواء أكان في طاعات المطيعين أم عصيان العاصين ، سواء أكان في إيمان المؤمنين أم كفر الكافرين ، فكل شيء يحصل في ملكوت الله إنما هو بإذنه ومشيئته وإرادته الكونية ؛ لأن المشيئة ما تنقسم ، التي تنقسم الإرادة ، ومشيئة الله إذا أطلقت يُعنى بها الإرادة الكونية ، الإرادة تنقسم إلى إرادة كونية وإرادة شرعية ، فأما المشيئة فهي مشيئة الله جل وعلا في كونه ، هذه الدرجة الأولى هذه تواكب وقوع المقدر ، فلا يمكن أن يعمل العبد شيء يكون مقدرًا من الله جل وعلا إلا وهذا الشيء قد شاءه الله جل وعلا .

الدرجة الثانية : أن يؤمن بأن الله جل وعلا خالق كل شيء : كل شيء مخلوق ، فالله جل وعلا خالقه ؛ أعمال العباد ، أحوال العباد ، السماوات ، الأرض ، من في السماوات ومن في الأرض ، ما في السماوات وما في الأرض ، الجميع الذي خلقه هو الله جل وعلا ، فإذا أراد العبد أن يعمل شيئًا فإنه لا يكون إلا إذا شاءه الله جل وعلا ، وخلق الله جل وعلا ذلك الشيء ، طاعات المطيعين خلقها الله جل وعلا ، عصيان العاصين خلقه الله جل وعلا ، إذا توجه العبد بإرادته إلى أن يفعل شيء إذا شاءه الله كونًا وقع بعد خلقه له ، إذا لم يشأه ولو أراده العبد لم يقع ، كما قال جل وعلا : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير / ٢٩) ، قال : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الإنسان / ٣٠) ، مرتبة الخلق عامة .

إذن هذا الإيمان الواجب يصح أن نقول إنه إيمان تفصيلي ، مرتبة قبل وقوع المقدر ، العلم الأزلي ؛ العلم الأول ، والكتابة التي هي قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، ثم ما يواكب وقوع المقدر وهو أنّ العبد عنده إرادة وعنده قدرة ؛ إذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقدرة التامة حصل منك الفعل ، توجهت إلى الفعل حصل منك الفعل لكن لا يحصل منك إلا بعد أن يشاء الله جل وعلا ذلك منك ، وإلا بعد أن يخلق الله جل وعلا ذلك الفعل منك ، الفعل فعل العبد حقيقة ، لكن الخالق لهذا الفعل هو الله جل وعلا ، لِمَ ؟ لأن الذي يكون من العبد لا يكون إلا بإرادة جازمة وبقدرة تامة ، والإرادة والقدرة قد خلقها الله ، الله جل وعلا خلق ما به يكون الفعل ويخلق الفعل نفسه إذا توجه إليه العبد . (فحصل بهذا الإيمان التفصيلي الواجب بالقدر) .

س ٢٢٤ : ما معنى قوله (خيره وشره) ؟

ج : الشر في القدر هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان بحيث يحصل له به أذى وضرر ، والخير في القدر هو ما يلائم طبيعة الإنسان بحيث يحصل له به ارتياح وسرور وكل ذلك من الله تعالى .

والتوفيق بينهما : أن هناك قدر وتقدير وهناك مقدور فالتقدير ليس فيه شر بوجه من الوجوه بل كله خير ، أما المقدور ففيه شر من جهة عدم ملائمته للإنسان أما إن نظرنا من جهة الحكمة الإلهية ففيه خير كما قال تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم / ٤١) .

قال الأسمري في (شرحه / ١٠٧) : ((خيره وشره) : أي خير القدر وشر القدر ؛ لأن القدر نوعان : منه ما هو خير وهذا بيّن ، ومنه ما هو شر وهو ظاهر . ومن ثَمَّ فإن القدر منه ما هو خير وما هو شر إلا أن الشر لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى وإنما يضاف إلى مفعولات الله . وإذا أضيف الشر إلى الله – سبحانه وتعالى – فتأتي إضافته على ما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : – إما بنزع الفاعل : كقوله سبحانه حكاية (أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ) (الجن / ١٠) ، فنزع الفاعل وأضيف الشر إلى المفعول . وإما بإضافته إلى السبب : كقوله تعالى : (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) (الفلق / ٢) فأضيف إلى السبب وهكذا . وبهذا يتبين أن إضافة الشر إلى الله مباشرة لم تأتِ به النصوص في عمومها وجملتها كما قرره ابن تيمية– يرحمه الله–.

س٢٢٥ : هل الإيمان بالقدر ينافي أن يكون للعبد مشيئة وقدرة ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين – يرحمه الله – في (شرحه / ١١٠) : (الإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها ، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى في المشيئة : (فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا) (النبأ / ٣٩) وقال : (فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة / ٢٢٣) وقال في القدرة : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) (التغابن / ١٦) وقال : (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة / ٢٨٦) .

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك ، ويفرق بين ما يقع : بإرادته كالمشي ، وما يقع بغير إرادته كالإرتعاش ، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى ، وقدرته لقول الله تعالى : (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير / ٢٨ – ٢٩) ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته) .

س٢٢٦ : هل الإيمان بالقدر يمنح العبد الحجة على ترك الواجبات وفعل المعاصي ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين – يرحمه الله – في (شرحه / ١١٠) : (الإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي ، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه :

الأول : قوله تعالى : (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ ءَابَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ) (الأنعام / ١٤٨) ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه .

الثاني : قوله تعالى : (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء / ١٦٥) ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل ، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى .

الثالث : لقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ قَالَ : لا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى) الآية . (خ / ٤٩٤٧) ، وفي لفظ لمسلم : " فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ " (م / ٦٩٠٣) فأمر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالعمل ونهى عن الإتكال على القدر .

الرابع : أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ، قال الله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن / ١٦) وقال : (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) (البقرة / ٢٨٦) ولو كان العبد مجبرًا على الفعل لكان مكلفًا بما لا يستطيع الخلاص منه ، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل ، أو نسيان ، أو إكراه فلا إثم أو إكراه ، فلا إثم عليه لأنه معذور .

الخامس : إن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور ، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله ، وحينئذ تنفى حجته إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه .

السادس : أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر ، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر ؟ أفليس شأن الأمرين واحدًا ؟

وإليك مثالاً يوضح ذلك : لو كان بين يدي الإنسان طريقان : أحدهما : ينتهي به إلى بلد كلها فوضى ، خوف على الأعراض والأموال وعدم احترام للنفوس ، وثانيهما : كلها نظام ، وأمن مستتب ، وعيش رغيد ، واحترام للنفوس والأعراض والأموال ، فأي الطريقين يسلك ؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن ، ولا يمكن لأي عاقل أبدًا أن يسلك طريق بلد الفوضى ، والخوف ، ويحتج بالقدر ، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر ؟

مثال آخر : نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه ، وينهي عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه ، كل ذلك طلبًا للشفاء والسلامة ، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله ، أو يفعل ما نهى الله ورسوله ثم يحتج بالقدر ؟ .

س٢٢٧ : ما الفرق بين الإرادة الكونية القدرية وبين الإرادة الشرعية ؟

ج : قال العلامة محمد بن صالح العثيمين – يرحمه الله – في (القول المفيد على كتاب التوحيد / ١ / ١٦٤) : (أراد الله : تنقسم إلى قسمين : شرعية وكونية ، والفرق بينهما :

أولاً : من حيث المتعلق ، فالإرادة الشرعية تتعلق بما يحبه الله – عز وجل – ، سواء أوقع أم لم يقع ، وأما الكونية : فتتعلق بما يقع ، سواء أكان مما يحبه الله أم مما لا يحبه .

ثانيًا : الفرق بينهما من حيث الحكم ، أي حصول المراد ، فالشرعية : لا يلزم منها وقوع المراد ، أما الكونية فيلزم منها وقوع المراد . فقوله تعالى : (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) (النساء / ٢٧) هذه إرادة شرعية لأنها لو كانت كونية لتاب على كل الناس ، وأيضًا متعلقها فيما يحبه الله وهو التوبة . وقوله : (إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ) (هود / ٣٤) هذه كونية ، لأن الله لا يريد الإغواء شرعًا ، أما كونًا وقدرًا فقد يريده ...) .

س٢٢٨ : كيف يتعامل العبد مع القدر ؟

ج : للعبد في تعامله مع القدر حالتان :

١) حالة قبل وقوع القدر ، فعليه قبل وقوع المقدور أن يستعين بالله تعالى ويتوكل عليه ويدعوه ويحسن الظن به سبحانه .

٢) حالة بعد وقوع القدر فعليه عندئذ ما يأتي :

أ – أن يحمد الله تعالى عند حلول النعم وبعد القيام بالطاعات ويعتقد أن الفضل الذي أصابه من الله ، وأن العبد ليس سوى محل للنعمة .

ب – أن يصبر ويرضى عند وقوع المصائب ويستغفر الله من الذنوب التي هي سبب كثرة المصائب ، وأن يحمد الله على ما أصابه وأن يتذكر أن من رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط ، وأن القدر ما أصابه إلا لحكمة اقتضتها حكمة الحكيم سبحانه ، وأن الله تعالى لا يفعل عبثًا ولا يظلم أحدًا ، فعليه إذن أن يحسن الظن بالله .

ج – وإذا كان ما نزل بالعبد من المصائب من باب القدر الذي للعبد فيه اختيار ، فهو مأمور بدفعه بقدر هو أحب إلى الله تعالى منه .

مثال ذلك : إذا نزل بالعبد مرض فهذا قدر من الله ، وهو لا شك مأمور بدفعه بقدر آخر هو التداوي .

د – أما إذا كان ما نزل بالعبد من المصائب من باب القدر الذي لا طاقة له بدفعه كموت قريب ، فهذا حقه أن يُتلقى بالاستسلام والصبر والرضى ......) .

س٢٢٩ : ما صحة ما يردده البعض (اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه) ؟

ج : هذا الدعاء يجري كثيرًا على الألسنة ، وهو دعاء لا ينبغي لأنه شرع لنا أن نسأل الله رد القضاء إذا كان فيه سوء ، ولهذا بَوَّب الإمام البخاري – يرحمه الله – بابًا في صحيحه قال فيه : (باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء وقوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) (الفلق /١ – ٢) .

ثم ساق قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلاَءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ " (خ / ٦٦١٦) .

س٢٣٠ : ما صحة ما يردده البعض (شاءت الظروف أو شاءت الأقدار) ؟

ج : هذه من الألفاظ التي لا ينبغي التلفظ بها ، لأنه ليس للظروف ولا للأقدار مشيئة حتى تنسب لها .

س٢٣١ : ما ثمرات الإيمان بالقدر ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين – يرحمه الله – في (شرحه / ١١٣) : (للإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها :

الأولى: الاعتماد على الله تعالى ، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله.

الثانية : أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده ، لأن حصوله نعمة من الله تعالى ، بما قدره من أسباب الخير ، والنجاح ، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة .

الثالثة : الطمأنينة ، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب ، أو حصول مكروه ، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض ، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد / ٢٢ – ٢٣) و يقول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ " (م / ٧٦٩٢) .

س٢٣٢ : ما معنى القدر ؟ وما مراتبه ؟

ج : القدر : ما يقضي به الله على خلقه وله مراتب أربع :

١ – العلم .　　٢ – الكتابة .　　٣ – المشيئة .　　٤ – الخلق .

س٢٣٣ : ما معنى الإحسان ؟

ج : قال المصنف – يرحمه الله – : (المرتبة الثالثة : الإحسان ركن واحد : وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل / ١٢٨) وقوله تعالى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيم ، الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُوم وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِين ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الشعراء / ٢٢٠) . وقوله تعالى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) (يونس / ٦١) .

وقال الأسمري في (شرحه / ١٠٨) : (وهذه المرتبة أصحابها على أحد منزلتين : –

أما المنزلة الأولى : فمنزلة المشاهدة والمعاينة .

وأما المنزلة الثانية : فمنزلة المراقبة .

س٢٣٤ : استدل المصنف بـ (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل / ١٢٨) ما معنى : (مع) ؟

ج : المعية نوعان : ١ – معية عامة : مع الخلق كلهم ، ومن مقتضياتها : العلم والإحاطة .

٢ – معية خاصة : مع عباد الله المؤمنين ، ومن مقتضياتها النصرة والتأييد .

س٢٣٥ : استدل بحديث جبريل المشهور وفيه : (يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَان) فهل التطاول في البنيان مذموم مطلقًا ؟

ج : الكلام عن التطاول مقامان :

١ – أن يكون التطاول من باب الاحتياج إليه فأطيل ، كأناس يملكون أرضًا صغيرة لا يستطيعون السعة فيطيلون البناء حتى تكون أبنية فوق أبنية فتسكن ، وهذا فيه إجماع ولا خلاف في أنه لا نهي فيه ، حكى الإجماع النووي وغيره .

٢ – أن يكون التطاول لا عن احتياج وضرورة إنما من باب التمتع ، وهذا فيه قولان للفقهاء :

أ – الإباحة : فيجوز ، وهو مذهب الحنابلة كما قرره ابن مفلح في الأداب الشرعية .

ب – خلاف الأولى وقيل مكروه [1] : ذهب إليه الشافعي وبعض الحنابلة .

ج – أن يكون من باب الفخر والخيلاء فيحرم .

---

(١) ذكر بعض أهل العلم كراهة ما لا تدعوا الحاجة إليه من البناء و من تطويل البناء وتشييده ، ويشهد لذلك حديثين :

١ – عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ لَهُ : " فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ وَفِرَاشٌ لاِمْرَأَتِهِ وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ " . (م / ٥٥٧٣) .

٢ – عَنْ خَبَّابِ بن الأَرَتِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ : " كُلُّ نَفَقَةٍ يُنْفِقُهَا الْعَبْدُ يُؤْجَرُ فِيهَا إِلا الْبُنْيَانُ " . تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٥٦٦ في صحيح الجامع . قال : " أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِلاَّ مَا لاَ ، إِلاَّ مَا لاَ يَعْنِي مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ " . رواه أبو داود ، قال الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٦ / ٧٩٤ : " كل بناء وبال على صاحبه ... "

* * الأَصْلُ الثَّالِثُ * *

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة . نُبِّئَ بـ (اقْرَأْ) ، وَأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ) ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ .

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر / ١ – ٧) . وَمَعْنَى : (قُمْ فَأَنذِرْ) : يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ . (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) : أَيْ : عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ . (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) : أَيْ : طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ . (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) : الرُّجْزَ : الأَصْنَامُ ، وَهَجْرُهَا : تَرْكُهَا ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ .

س٢٣٦ : ما المقصود بـ (مَعْرِفَة نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) ؟

ج : قال العلامة ابن عثيمين في (شرحه / ١٢١) : (معرفة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تتضمن خمسة أمور :

الأول : معرفته نسبًا فهو أشرف الناس نسبًا فهو هاشمي ، قرشي ، عربي ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ – يرحمه الله – .

الثاني : معرفة سِنِّه ، ومكان ولادته ، ومهاجره ، وقد بينها الشيخ بقوله : " وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وبلده مكة ، وهاجر إلى المدينة " فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثًا وخمسين سنة ، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين ، ثم تُوفِّي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشر بعد الهجرة .

الثالث : معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة كما قال يَحْيَى الصّرْصَرِيّ حَيْثُ فِي نُونِيّتِهِ :

وَأَتَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ فَأَشْرَقَتْ　　شَمْسُ النّبْوَةِ مِنْهُ فِي رَمَضَانِ

الرابع : بماذا كان نبيًا ورسولاً ؟ فقد كان نبيًا حين نزل عليه قول الله تعالى : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق / ١– ٥) ، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر / ١– ٧) ، فقام – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فأنذر وقام بأمر الله عز وجل .

الخامس : بماذا أُرسِل ولماذا ؟ فقد أُرسِل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور ، وأُرسِل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه) .

س٢٣٧ : ما معنى الخلة ؟

ج : هي أعلى مراتب المحبة ، وليس لله من خلقه سوى خليله (إبراهيم – عليه السلام – ومحمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) واختلف في موسى – عليه السلام – .

س٢٣٨ : وما مراتب المحبة وهل يجوز أن يوصف الله بشيء منها ؟

ج : مراتب المحبة عشرة :

١ – العلاقة ٢ – الإرادة ٣ – الصبابة ٤ – الغرام ٥ – المودة

٦ – الشغف ٧ – العشق ٨ – التتيم ٩ – التعبد ١٠ – الخلة

ويوصف الله بـ : الإرادة – الود – المحبة – الخلة .

س٢٣٩ : ما معنى قول المصنف – يرحمه الله – : (بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ... إلخ) ؟

ج : قال الأسمري في (شرحه / ١١٧) : (بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد)

(بعثه الله) : أي أن الله أرسل نبيه محمدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مبعوثًا لغاية ، وهذه الغاية فَسَّرها المصنف – يرحمه الله – (بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) .

(النذارة) : تحتمل أكثر من ضبط ، ومن ذلك النَّذَارة بفتح النون المشددة من الإنذار ، والإنذار يأتي في اللغة بمعنى التحذير ، يقال أنذر الوالد ولده ألا يعود إلى خطئه ، إذا حذره بعد ذلك .

فحصر المصنف – يرحمه الله – نذارة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ورسالته في هذا الأمر ، وهو التوحيد والتحذير من ضده وسبق التدليل على هذا المعنى .

(والدليل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ...) الآيات ، ذكرها المصنف لبيان المعنى السابق ، ثم أخذ في تفسيرها – يرحمه الله – ليبين وجه الدلالة ، وهذا التفسير الذي ذكره المصنف – يرحمه الله – مأخوذ من معاني المفسرين التي ذكروها حول الآيات) .

وقال الشيخ صالح آل الشيخ في (شرحه / ٩٢) : (بعثه الله بالنذارة عن الشرك يدعو إلى التوحيد) ، (قُمْ فَأَنذِرْ) ينذر عن أي شيء ؟ ينذر عن الشرك ، يخوّف ، الإنذار إعلامٌ فيه تخويف عن شيء يمكن تداركه ، لكن وقت تداركه يطول بخلاف الإشعار ، هناك عندنا ثلاثة ألفاظ : إعلام ، إنذار ، إشعار :

الإعلام : مجرد إيصال العلم ؛ خبر .

الإنذار : إعلام فيه تخويف ، وهناك فترة يمكن تصحيحها .

الإشعار : إعلام فيه تخويف ، لكن مدة استدراكه قليلة كما قال الشاعر :

أَنْذَرْتُ عَمْراً وَهُوَ فِي مَهَلٍ   قَبْلَ الصَّبَاحِ فقَدْ عَصَى عَمْرُو

فدل على أن الإنذار يكون بعده مدة يمكن الاستدراك بها ، (ينذر عن الشرك) أيضًا يخوف من النار ، يخوف من عذاب الله ، يخوف من سخط الله كما قال جل وعلا : (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) (فصلت / ١٣) فإذا الإنذار يكون عن الشرك ، وعما يكون عقابًا لأهل الشرك من أنواع العقوبات ، في الدنيا بالهلاك والاستئصال ، وفي الآخرة بالعذاب والنكال .

بقي قوله : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) لها تفسيران ؛ تفسير للثياب بالثياب المعروفة ؛ ثياب تطهرها من النجاسة ، وثيابك التي هي الأعمال ، طهرها من الشرك ، فصار الأنسب للثياب أن يفسر (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) بطهر أعمالك من الشرك ، وهذا مما يعتني به المحققون من المفسرين ، أنهم يختارون في التفسيرِ التفسيرَ الذي يناسب السياق ، يناسب ما بعده وما قبله ، واللغة لها محامل كثيرة ، ولهذا اختلف السلف في تفسيراتهم ......) .

س٢٤٠ : ما معتقد أهل السنة والجماعة في الإسراء والمعراج ؟

ج : أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أُسري به إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء من بيت المقدس ، وكان ذلك قبل الهجرة (على الصحيح) ، وكان بالجسد والروح معًا ليس بالروح فقط .

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وساءت مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُورًا) (النساء / ٩٧ – ٩٩) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) (العنكبوت / ٥٦) .

قَالَ الْبُغَوِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – : نزلت هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا ، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ : قَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) .

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ ، مِثلِ : الزَّكَاةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالْحَجِّ ، وَالأَذَانِ ، وَالْجِهَادِ ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ ، وَتُوُفِّيَ – صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ – وَدِينُهُ بَاقٍ .

وَهَذَا دِينُهُ ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ . بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيع) (الأعراف / ١٥٨) . وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) (المائدة / ٣) . وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) (الزمر / ٣٠ ، ٣١) . وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه / ٥٥) . وقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) (نوح / ١٧ ، ١٨) . وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (النجم / ٣١) .

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (التغابن / ٧) .

س٢٤١ : ما معنى الهجرة ؟

ج : لغة من الهجر ضد الوصل وهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وحكمها : فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ، وهي باقية إلى قيام الساعة .

س٢٤٢ : ما حكم الهجرة ؟ هل الهجرة واجبة على الإطلاق ؟ وما دليل الوجوب ؟

ج : والحكم يأتي على نوعين :

١ – وجوب الهجرة وله شرطان :

أ – أن يكون في الذهاب من دار الشرك إلى دار الإسلام مستطيعًا عليه .

ب – أن لا يقوى على إظهار دينه هناك .

ودليل الوجوب : ١– (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ... إلى قوله : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء / ٩٧) .

٢ – الإجماع : حكاه القرطبي .

٢ – قادرًا على الانتقال : إلا أنه يستطيع إظهار دينه – فالأصل في حكمه : (الاستحباب) ، وعليه عامة الفقهاء . (حكاه ابن قدامة في المغني والكاساني في بدائع الصنائع) .

س٢٤٣ : ما دار الشرك ودار السلام ؟

ج : دار الشرك : هي كل دار الغالب عليها الشرك وحكم الشرك .

دار الإسلام : كل بلد الغالب عليها الإسلام وحكم الإسلام وعليه عامة الفقهاء .

س٢٤٤ : ما حكم دار الكفر ؟ وما أنواعها ؟

ج : تأتي على نوعين :

١ – دار كفر حربية : فالحكم فيها التشديد على ألا يبقى مسلم فيها .

٢ – دار مستأمنة : كأكثر دور الكفر اليوم ، فالأمر فيها على خلاف .

س٢٤٥ : ما حكم من بقي في دار الكفر من حيث الإيمان وسلبه ؟

ج : يأتي على جهتين :

١ – إن بقي راضيًا بالكفر وأهله مناصرًا فهذا (تولي) وهو كفر .

٢ – إن بقي على غير الحالة السابقة وإنما من باب العصيان ، كأن يبقى عاصيًا لله مع قدرته على الذهاب وقد لا يستطيع إظهار دينه ، فيقال : هو عاص بهذا الفعل ، ولكنه مؤمن .

س٢٤٦ : ما معنى قول المصنف : (ودينه باقٍ وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه) ؟

ج : قال الأسمري في (شرحه / ١٢٣) : ((ودينه باقٍ) أي أن الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله – سبحانه وتعالى – لنا . باقٍ إلى أن تقوم الساعة . وبقاء الدين معناه شيئان : –

أما الشيء الأول : فهو حفظ مادته ، فلا يطرأ عليها تحريف ولا تغيير ، ومن ثم حفظ لله – سبحانه وتعالى – كتابه المسمى بالقرآن فلا يطرأ عليه تحريف ولا تغيير حتى تقوم الساعة .

وأما الشيء الثاني : فهو بقاء الإسلام وبقاء من يستمسك به وهي الطائفة الناجية أو الفرقة الناجية التي تستمسك بهذا الدين وإنما يبقى الدين ويبقى المسلمون حتى تقوم الساعة . وقيام الساعة على المؤمنين الموحدين بمجيء ريح طيبة تقبض أرواحهم كما في الصحيح . " فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ " (م / ٧٥٦٠) .

قوله (وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه) في هذه الجملة دلالة على استيفاء الشرع لكل خير وتحذير الأمة من كل شر . ويدل على ذلك دليلان : -

أما الدليل الأول : فالخبر ، ومن ذلك أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : " لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى الْجَنَّةِ ، إِلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلاَ عَمَلٌ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ ، إِلاَّ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ " (صحيح الترغيب / ١٧٠٠) .

وأما الدليل الثاني : فالإجماع ، حيث أجمع أهل العلم والإسلام على أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - استوفى ذلك ، وممن ذكر الإجماع في ذلك ابن جرير الطبري في (تفسيره) والبغوي في (تفسيره) وغيرهما .

س٢٤٧ : كيف استوفى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الدلالة على الخير والشر ؟

ج : ١ - بذكر أصول الخير الدالة على مفرداته وقواعد الخير الدالة على ما تحتها (وهذا هو المقصود) .

٢ - بذكر تفصيلات الأشياء بأسمائها وألقابها على ما يستمر عليه الناس إلى أن تقبض أرواحهم (فهذا غير مقصود) .

س٢٤٨ : ما معنى : (الحساب ، مجزيون) ؟

ج : الحساب لغة : ما يكون فيه عدّ ، وكذلك المعنى هنا : فإن الله سيجعل الناس عارفين بأعمالهم وما إلى ذلك كالذي يعدها عدًّا ، ثم هي معدودة عليهم محصاة لدى الله .

مجزيون : يأتي على احتمالين :

١ - الجزاء : وهو مجازاة العامل على ما عمل ، وهو الأظهر .

٢ - التأكيد على قوله : (محاسبون) فيكون الجزاء بمعنى الحساب .

س٢٤٩ : هل الرسل والأنبياء محاسبون أم لا ؟

ج : قولان للمفسِّرين وأهل اللغة كابن تيمية : أن الأنبياء محاسبون على التبليغ ، فيكون قول المصنف (وبعد البعث محاسبون) مخرج الغالب .

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء / ١٦٥) .

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) (النساء / ١٦٥) .

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْها رَسُولا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) (النحل / ٣٦) . وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – : مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ .

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ : إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة / ٢٥٦) . وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إِلا اللهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : " رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ " .

وَاللهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

س٢٥٠ : علام يدل قول المصنف (وأرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين) ؟

ج : فيه دلالتان :

١ – أن الأنبياء دعوتهم واحدة لا تختلف :

أ – لحديث (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ) (خ / ٣٤٤٣) .

ب – الإجماع (حكاه ابن تيمية وغيره) .

س٢٥١ : ما معنى (أخوة لعَلّات) ؟

ج : (إخوة لعَلَّات) العَلَّات : بفتح العين المهملة مع تشديد اللام بعدها واحدها عَلّة ، ويقصد بهن الضرائر ، فالضرائر نساء شتى لكن أبناء الضرائر والأخوة من هؤلاء الضرائر أبوهم واحد ، فكان الدين واحدًا ، والمقصود بقول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (ودينهم واحد) أي : ما يتعلق بدعوتهم للتوحيد وعقائدهم فإنهم دَعَوا إلى التوحيد وحذروا من الشرك ، واتفقوا على ما يتعلق بذلك وأما ما يتعلق بشرائعهم من صلاة وصدقات وأنواع عبادات فإنهم ليسوا متفقين في جميع هذه الشرائع .

س٢٥٢ : ما معنى (مُبَشِّرين – مُنْذِرين) ؟

ج : المَبَشِّر : من تحصل من قِبَله البشارة للغير ، والبشارة تكون لمن يستحق أن يكون سببًا في أخذها ، فإن فعل المكلف الطاعة ولقي الله على التوحيد والطاعة فإن ذلك سبب في نجاته وحصول الحنة له ، وإذا كان الضد كان الجزاء من جنس العمل .

منذرين : النذارة ضد البشارة .

– وقد يستعمل التبشير بمعنى الإنذار كما في قوله تعالى : (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (آل عمران / ٢١) .

س٢٥٣ : ما المقصود بـ (آخرهم محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –) على الرغم من نزول عيسى – عليه السلام – بعده ؟

ج : الآخرية نوعان :

١ – فآخرية الرسالة : وهذا هو المقصود في عموم ما جاء من أخريات ، وهو الذي عناه المصنف ، فرسالة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هي آخر الرسالات وخاتمتها .

٢ – آخرية وفاة : وآخر الرسل وفاة (عيسى ابن مريم عليه السلام) جيث ينزل آخر الزمان ويقتل الدجال .

س٢٥٤ : قال المصنف : قال ابن القيم – يرحمه الله تعالى – : (معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حَدَّه من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع) فما معنى الطاغوت ؟ وفي كم حصر ابن القيم (الطواغيت) ؟

ج : لغة : من طغى ، والطغيان لغة : تجاوز الشيء ما حُدَّ له .

اصطلاحًا : عرَّفه ابن القيم فقال : ما تجاوز به العبد حَدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع .

– وحصرهم ابن القيم في ثلاثة بدليل الاستقراء التام .

قال العلامة ابن عثيمين – يرحمه الله – في (القول المفيد / ١ / ٣٠) : (الطاغوت : مشتق من الطغيان ، وهو صفة مشبهة ، والطغيان : مجاوزة الحدّ ؛ كما في قوله تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) (الحاقة / ١١) ؛ أي : تجاوز حَدَّه .

وأجمع ما قيل في تعريفه هو ما ذكره ابن القيم – يرحمه الله – بأنه : (ما تجاوز به العبد حده من متبوع ، أو معبود ، أو مطاع) .

ومراده من كان راضيًا بذلك ، أو يقال : هو طاغوت باعتبار عابده ، وتابعه ، ومطيعه ؛ لأنه تجاوز به حده حيث نَزَّله فوق منزلته التي جعلها الله له ، فتكون عبادته لهذا المعبود ، واتباعه لمتبوعه ، وطاعته لمطاعه طغيانًا لمجاوزته الحد بذلك .

فالمتبوع مثل : الكهان ، والسحرة ، وعلماء السوء .

والمعبود مثل : الأصنام .

والمطاع مثل : الأمراء الخارجين عن طاعة الله ، فإذا اتخذهم الإنسان أربابًا يُحِل ما حَرَّم الله من أجل تحليلهم له ، ويُحرِّم ما أحل الله من أجل تحريمهم له ؛ فهؤلاء طواغيت ، والفاعل تابع للطاغوت ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) (النساء / ٥١) ، ولم يقل : إنهم طواغيت .

س٢٥٥ : ما معنى قول المصنف – يرحمه الله – (والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة ، إبليس لعنه الله ، ومن عُبد وهو راضٍ) إلى آخره ؟

ج : قال الأسمري في (شرحه / ١٣٥) : ((الطواغيت كثيرون) : وهي مسألة أخرى ذكرها ليبين أن من وقعوا في القسم الأول وهو المعبود ، أو الثاني وهو المتبوع ، أو الثالث وهو المطاع ، ممن يتعلق بهم وصف الطاغوتية كثيرون على مرّ التاريخ ومجيئه ، وأن هذا المعنى يدخل فيه أفراد لا يأتي عليهم حصر .

(ورؤوسهم خمسة) : أي أن أجناس هؤلاء الكبار خمسة ، وإنما حصرهم في خمسة لدليل الاستقراء حيث استقرأ المصنف – يرحمه الله – الطواغيت فوجد أنهم كثيرون إلا أن لهم رؤساء ، وهؤلاء الرؤساء الذين هم رأس للغير خمسة .

أما أولهم : فإبليس لعنه الله ، وهذا رأس الظلم والشرك والتّعدي وأمرُه واضح .

وأما الثاني : فمن عُبد وهو راضٍ ، وسبق معناه .

وأما الثالث : فمن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، أي أنه جعل الناس يعبدونه بأمر منه ورغب ، ومن أمثلة أولئك فرعون لعنه الله فإنه قد دعى الناس أن يعبدوه من دون الله – سبحانه وتعالى – .

وأما الرابع : فمن ادَّعى شيئًا من علم الغيب .

(شيئًا) : نكرة في سياقٍ شرطي ومن ثم عمّه على ما قرّره جمهور الأصوليين ، فيكون المعنى : من ادَّعى من علم الغيب – أي شيء – من علم الغيب فإنه يكون من رؤوس الطواغيت .

(علم الغيب) : يقصد به ما كان خصوصيًا لله – سبحانه وتعالى – إذ إن المغيبات نوعان :

أما النوع الأول : فخاص بالله – سبحانه وتعالى – ، لا يعلمه إلا هو .

وأما الثاني : فليس خاصًا به – سبحانه وتعالى – ، كأن يعلم فلان بسفر زيد من داره إلى دار أخرى فيكون علمًا مغيبًا عليه له أن يعرفه بعد غياب هذا العلم عنه ، وهذا لا شيء فيه ، والأول هو المقصود من قول المصنف : (من علم الغيب) .

وأما الخامس : فهو من حكم بغير ما أنزل الله .

(الحكم بغير ما أنزل الله) : أن يجعل الإنسان حكم غير الله محل حكم الله – سبحانه وتعالى – فيحتكم إليه ، والحكمُ بغير ما أنزل الله نوعان : –

الأول : ما هو كفر بالله ، يُخرج من ملة الإسلام ، كالذي يجحد حكم الله ورسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ويتحاكم إلى قوانين وضعية ، فإن ذلك كافر بإجماع المسلمين كما قرره المسلمون .

والثاني : هو ما كان دون ذلك ، ومن أمثلته هو أن تقع المعصية من قبل بعض الناس فيحكم بغير ما أنزل الله مع إقراره بحاكمية الشرع وأن يتحاكم إلى الشرع راضيًا بحكم الله ورسوله ؛ ولكن خرج ذلك منه لغفلة أو شهوة أو نحوها فهذه معصية .

فهذه الخمسة هي رؤوس الطواغيت كما قاله المصنف – يرحمه الله – .

ثم قال – يرحمه الله – (والدليل قوله تعالى : (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ...) (البقرة / ٢٥٦) الآية .

هذا الدليل يحتمل أن يستدل به على أقرب مذكور ، وأقرب مذكور هو رؤوس الطاغوتية الخمسة ، وما في الآية لا يصح دلالة عليه ، وأما الثاني فهو أن يكون راجعًا إلى معنى الطاغوتية الذي أراده المصنف – يرحمه الله – وهذا بيّن في قول الله (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ) (البقرة / ٢٥٦) وهذا المعنى قال عنه المصنف – يرحمه الله – هو معنى لا إله إلا الله ويقصد بقوله : ومعنى لا إله إلا الله أي : ما سبق ، وهو إثبات ونفي .

ف (لا إله إلا الله) معناها إثبات استحقاق الله للعبادة ونفي استحقاق غيره للعبادة ففيها قَصرُ الإيمان على الله وفيها الكفر بما سوى الله من معبودات وآلهة ، وهذا في الآية ظاهر حيث قال الله تعالى (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) وهذا جانب النفي ، ثم قال (وَيُؤْمِن بِاللَّهِ) وهذا جانب الإثبات .

س٢٥٦ : هل الحكم بغير ما أنزل الله من رؤوس الطواغيت ، وأن الذي يحكم بغير ما أنزل كافر على الإطلاق وكيف يُوجَّه قوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة / من الآية ٤٤) ، (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المائدة / من الآية ٤٥) ، (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (المائدة / من الآية ٤٧) ؟

ج : هذه المسألة تُعرف حديثًا بمسألة الحاكمية وهذه التسمية لم أجدها في كتب العقيدة المسندة وقد كَثُر فيها اللغط والغلط ، وبما أنها تتعلق بالتوحيد والتفسير ، لذا سأنقل كلام عملاقين من عمالقة التوحيد والتفسير قديمًا وحديثًا كالآتي :

قال الشيخ العثيمين في القول المفيد على كتاب التوحيد (٢ / ١٥٩) (باختصار يسير) :

قيل : إن هذه الأوصاف لموصوف واحد ؛ لأن الكافر ظالم ؛ لقوله تعالى : (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ، (البقرة / ٢٥٤) ، وفاسق ؛ لقوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) ، (السجدة / ٢٠) ، أي : كفروا .

وقيل : إنها لموصوفين متعددين ، وإنها على حسب الحكم ، وهذا هو الراجح .

فيكون كافرًا في ثلاثة أحوال :

أ – إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله ، بدليل قوله تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) (المائدة / ٥٠) فكل ما خالف حكم الله ، فهو من حكم الجاهلية ، بدليل الإجماع القطعي على أنه لا يجوز الحكم بغير ما

أنزل الله فالمُحل والمُبيح للحكم بغير ما أنزل الله مخالف لإجماع المسلمين القطعي ، وهذا كافر مرتد ، وذلك كمن اعتقد حل الزنا أو الخمر ، أو تحريم الخبز أو اللبن .

ب – إذا اعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله .

ج – إذا اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله بدليل قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ، (المائدة / ٥٠) . فتضمنت الآية أن حكم الله أحسن الأحكام ، بدليل قوله تعالى مُقَرِّرًا ذلك : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (التين / ٨) فإذا كان الله أحسن الحاكمين أحكامًا وهو أحكم الحاكمين ، فمن ادَّعى أن غير حكم الله ، مثل حكم الله ، أو أحسن ، فهو كافر لأنه مكذب للقرآن .

ويكون ظالمًا : إذا اعتقد أن الحكم بما أنزل الله أحسن الأحكام ، وأنه أنفع للعباد والبلاد ، وأنه الواجب تطبيقه ، ولكن حمله البغض والحقد للمحكوم عليه حتى حكم بغير ما أنزل الله ؛ فهو ظالم .

ويكون فاسقًا : إذا كان حكمه بغير ما أنزل الله لهوىً في نفسه مع اعتقاده أن حكم الله هو الحق ، لكن حكم بغيره لهوىً في نفسه ؛ أي : محبة لما حكم به لا كراهة لحكم الله ولا ليضر أحدًا به ، مثل : أن يحكم لشخص لرشوة رشي إياها ، أو لكونه قريبًا أو صديقًا ، أو يطلب من ورائه حاجة ، وما أشبه ذلك مع اعتقاده بأن حكم الله هو الأمثل والواجب اتباعه ؛ فهذا فاسق ، وإن كان أيضًا ظالمًا ، لكن وصف الفسق في حقه أولى من وصف الظلم .

أما بالنسبة لمن وضع قوانين تشريعية مع علمه بحكم الله وبمخالفة هذه القوانين لحكم الله ؛ فهذا قد بدل الشريعة بهذه القوانين ، فهو كافر لأنه لم يرغب بهذا القانون عن شريعة الله إلا وهو يعتقد أنه خير للعباد والبلاد من شريعة الله ، وعندما نقول بأنه كافر ؛ فنعني بذلك أن هذا الفعل يوصل إلى الكفر .

ولكن قد يكون الواضع له معذورًا ، مثل أن يغرر به كأن يقال : إن هذا لا يخالف الإسلام ، أو هذا من المصالح المرسلة ، أو هذا مما رده الإسلام إلى الناس .

وليعلم أنه يجب على الإنسان أن يتقي ربه في جميع الأحكام ؛ فلا يتسرع في البت بها خصوصًا في التكفير الذي صار بعض أهل الغيرة والعاطفة يطلقونه بدون تفكير ولا روية ، مع أن الإنسان إذا كَفَّر شخصًا ، ولم يكن الشخص أهلًا له ؛ عاد ذلك إلى قائله ، وتكفير الشخص يترتب عليه أحكام كثيرة ؛ فيكون مباح الدم والمال ، ويترتب عليه جميع أحكام الكفر ، وكما لا يجوز أن نطلق الكفر على شخص معين حتى يتبين شروط التكفير في حقه يجب أن لا نجبن عن تكفير من كَفَّره الله ورسوله ، ولكن يجب أن نُفَرِّق بين المُعَيَّن وغير المُعَيَّن ؛ فالمُعَيَّن يحتاج الحكم بتكفيره إلى أمرين :

١ – ثبوت أن هذه الخصلة التي قام بها مما يقتضي الكفر .

٢ – انطباق شروط التكفير عليه ، وأهمها العلم بأن هذا مُكفِّر ، فإن كان جاهلا ؛ فإنه لا يكفر ، ولهذا ذكر العلماء أن من شروط إقامة الحَدّ : أن يكون عالمًا بالتحريم ، هذا وهو إقامة حَدّ وليس بتكفير ، والتحرز من التكفير أولى وأحرى . قال تعالى : (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ،

(النساء / ١٦٥) ، وقال تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) ، (الإسراء / ١٥) ، وقال تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) ، (التوبة / ١١٥) ، ولا بد مع توفر الشروط من عدم الموانع ، فلو قام الشخص بما يقتضي الكفر إكراهًا أو ذهولًا لم يكفر ؛ لقوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) ، (النحل / ١٠٦) ؛ ولقول الرجل الذي وجد دابته في مهلكه : (اللهم ! أنت عبدي وأنا ربك ؛ أخطأ من شدة الفرح ؛ فلم يؤاخذ بذلك . ا . هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الْإِيمَانِ الْأَوْسَطِ) ١ / ٣٢ :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ فِي قَوْله تَعَالَى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) و (الظَّالِمُونَ) كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ ؛ وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ . وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُمَا .

وقال في الإيمان الكبير ١ / ١٦٣ :

وَإِذَا كَانَ مِنْ قَوْلِ السَّلَفِ : إنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ فِيهِ إيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِمْ : إنَّهُ يَكُونُ فِيهِ إيمَانٌ وَكُفْرٌ لَيْسَ هُوَ الْكُفْرُ الَّذِي يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابُهُ فِي قَوْله تَعَالَى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) قَالُوا : كَفَرُوا كُفْرًا لَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ وَقَدْ اتَّبَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ .

وقال في الإيمان الكبير ١ / ١٧١ :

وَلَنَا فِي هَذَا قُدْوَةٌ بِمَنْ رُوِيَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَالتَّابِعِينَ إذْ جَعَلُوا لِلْكُفْرِ فُرُوعًا دُونَ أَصْلِهِ لَا يَنْقُلُ صَاحِبَهُ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَمَا أَثْبَتُوا لِلْإِيمَانِ مِنْ جِهَةِ الْعَمَلِ فُرُوعًا لِلْأَصْلِ لَا يَنْقُلُ تَرْكُهُ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ : حَدَّثَنَا ابْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عيينة عَنْ هِشَامٍ يَعْنِي ابْنَ عُرْوَةَ عَنْ حجير عَنْ طَاوُوسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ إلَيْهِ . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) قَالَ هِيَ بِهِ كُفْرٌ قَالَ ابْنُ طَاوُوسٍ : وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ . حَدَّثَنَا إسْحَاقُ أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : هُوَ بِهِ كَفَرَ وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِهِ أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْت لِابْنِ عَبَّاسٍ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) فَهُوَ كَافِرٌ . قَالَ : هُوَ بِهِ كَفَرَ وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ طَاوُوسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كُفْرٌ لَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ . حَدَّثَنَا إسْحَاقُ أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ سَعِيدٍ الْمَكِّيِّ عَنْ طَاوُوسٍ قَالَ لَيْسَ بِكُفْرِ يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ . حَدَّثَنَا إسْحَاقُ أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ ابْنِ جريج عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ : قَالُوا : وَقَدْ صَدَقَ عَطَاءٌ قَدْ يُسَمَّى

الْكَافِرُ ظَالِمًا وَيُسَمَّى الْعَاصِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ ظَالِمًا فَظُلْمٌ يَنْقُلُ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَظُلْمٌ لَا يَنْقُلُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) وَقَالَ : (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) وَذَكَرَ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ الْصحيح قَالَ : (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ (يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) " . (خ / ٦٩٣٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مهران عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ نَشَرَ الْمُصْحَفَ فَقَرَأَ فِيهِ فَدَخَلَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَرَأَ فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) إلَى آخِرِ الْآيَةِ فَانْتَعَلَ وَأَخَذَ رِدَاءَهُ ثُمَّ أَتَى إِلَى أبي بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَيْت قَبْلُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) وَقَدْ نَرَى أَنَّا نَظْلِمُ وَنَفْعَلُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إنَّ هَذَا لَيْسَ بِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ : (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إنَّمَا ذَلِكَ الشِّرْكُ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ : وَكَذَلِكَ " الْفِسْقُ فسقان " : فِسْقٌ يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ وَفِسْقٌ لَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ فَيُسَمَّى الْكَافِرُ فَاسِقًا وَالْفَاسِقُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَاسِقًا ذَكَرَ اللَّهُ إبْلِيسَ فَقَالَ : (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) وَكَانَ ذَلِكَ الْفِسْقُ مِنْهُ كُفْرًا وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) يُرِيدُ الْكُفَّارَ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) وَسُمِّيَ الْفَاسِقُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَاسِقًا وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ الْإِسْلَامِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وَقَالَ تَعَالَى : (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) فَقَالَتْ الْعُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ الْفُسُوقِ هَاهُنَا : هِيَ الْمَعَاصِي . قَالُوا : فَلَمَّا كَانَ الظُّلْمُ ظلمين وَالْفِسْقُ فسقين كَذَلِكَ الْكُفْرُ كُفْرَانِ : (أَحَدُهُمَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ) و (الْآخَرُ لَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ) وَكَذَلِكَ الشِّرْكُ " شِرْكَانِ " : شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ وَشِرْكٌ فِي الْعَمَلِ لَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ وَهُوَ الرِّيَاءُ قَالَ تَعَالَى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمُرَاءَاةَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

وقال في الإيمان الكبير ١ / ١٨٤ :

وَتَمَامُ هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَشُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ ؛ وَقَدْ يَكُونُ مُسْلِمًا وَفِيهِ كُفْرٌ دُونَ الْكُفْرِ الَّذِي يَنْقُلُ عَنْ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا قَالَ الصَّحَابَةُ : ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ : كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ . وَهَذَا قَوْلُ عَامَّةِ السَّلَفِ وَهُوَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَد وَغَيْرُهُ مِمَّنْ قَالَ فِي السَّارِقِ وَالشَّارِبِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (إنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنِ) . إنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ : مُسْلِمُونَ لَا مُؤْمِنُونَ ؛ وَاسْتَدَلُّوا بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى نَفْيِ اسْمِ الْإِيمَانِ مَعَ إثْبَاتِ اسْمِ الْإِسْلَامِ وَبِأَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ مُسْلِمًا وَمَعَهُ كُفْرٌ لَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ بَلْ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابُهُ فِي قَوْلِهِ : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) قَالُوا : كُفْرٌ لَا يَنْقُلُ عَنْ الْمِلَّةِ وَكُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ . وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا اسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ

فِي " صَحِيحِهِ " فَإِنَّ كِتَابَ " الْإِيمَانِ " الَّذِي افْتَتَحَ بِهِ " الصَّحِيحَ " قَرَّرَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَضَمَّنَهُ الرَّدَّ عَلَى الْمُرْجِئَةِ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ الْقَائِمِينَ بِنَصْرِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَذْهَبُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

س٢٥٧ : قال المصنف : وصلى الله على محمد ، فما معنى صلاة الله على النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهل تختلف عن صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟

ج : قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب / ٥٦) . ففي هذه الآية ثلاثة أنواع من الصلاة على النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – :

١ – صلاة الله . ٢ – صلاة الملائكة . ٣ – صلاة المؤمنين .

– وذكر البعض أن صلاة الله بمعنى الرحمة ، وهذا مُنتَقَض لأمور :

١ – قال تعالى : (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) (البقرة / ١٥٧) ، فلو كان معنى الصلاة بمعنى الرحمة لكان معنى الآية أولئك عليهم رحمات من ربهم ورحمة ، والمعطوف يخالف المعطوف عليه غالبًا .

٢ – إذا كانت بمعنى الرحمة فما هي الميزة والخصيصة التي اختص بها النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فإن الله يرحمه ويرحم غيره ، فما الفرق بينه وبين غيره .

٣ – أورد البخاري في صحيحه في تفسير آية الأحزاب قول أبي العالية مُفسِّرًا : صلاة الله على النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : (الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى عَبْدِهِ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ ، وتفسير التابعي أولى من غيره .

– أما صلاة الملائكة فتكون بمعنى الاستغفار .

– وصلاة المؤمنين : بمعنى الدعاء .

س٢٥٨ : ما معنى (آله) ؟

ج : تأتي على معنيين : ١ – خاص : وهم مؤمنوا بني هاشم وبني المطلب (الذين تحرم عليهم الصدقة) .

٢ – عام : أتباعه على المِلَّة . وَهُمْ أَتْبَاعُهُ وَأَنْصَارُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا قِيلَ :

آلُ النَّبِيِّ هُمُو أَتْبَاعُ مِلَّتِهِ ... عَلَى الشَّرِيعَةِ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ آلُهُ إِلَّا قَرَابَتَهُ ... صَلَّى الْمُصَلِّي عَلَى الطَّاغِي أَبِي لَهَبِ

وَيَدْخُلُ الصَّحَابَةُ فِي ذَلِكَ مِنْ بَابٍ أَوْلَى ، وَيَدْخُلُ فِيهِ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ قَرَابَتِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَابٍ أولى وأولى .

س٢٥٩ : ما معنى صحبه ؟

ج : الصحب : اسم جمع صاحب ، وصاحب يجمع على أصحاب ، والمراد : الصحابة – رضوان الله عليهم–.

س٢٦٠ : من هو الصحابي ؟

ج : هو من لقي النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، مؤمنًا به ، بعد بعثته ، يقظة ، حال حياته – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ومات على الإسلام .

الخاتمة نسأل الله حسنها

الحمد لله فاتحة كل خير وخاتمة كلّ نعمة ، أحمده عز وجل وأشكره على توفيقه وعونه ، وعلى جميع نعمه الظاهرة و الباطنة وبعد . فيقول العبد الضعيف أدام الله عليه عافيته ، وختم بالخير عاقبته ، هذا آخر ما يَسَّر الله لي من توضيح شرح الثلاثة الأصول في سؤال وجواب ، ومن نِعم الله – سبحانه وتعالى– على عبده أن يبدأ عملًا ما ، ثم تحوطه رعاية الله وعنايته حتى يفرغ منه ، وأهم الأعمال في هذه الحياة ما كان خالصًا لله تعالى ، يبتغي به رضى ربه ، وشكر نعمته عليه ، وأن يكون لمعة مضيئة على طريق الهداية لهؤلاء الذين تفرقت بهم السبل ، وانبهمت أمامهم المسالك ، فأهملوا شرع ربهم ، وكانوا للشيطان أولياء .

ولقد كان من توفيق الله لي أن هداني للكتابة عن (الثلاثة الأصول) .

وَهَذَا آخِرُ مَا يَسَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَهُوَ شَيْءٌ يَسِيرٌ ، وَلَمْ يَعْرَ بِحَمْدِ اللهِ مِنْ أَثْوَابِ الْفَائِدَةِ بِتَعْرِيَتِهِ عَنِ الإِطَالَةِ وَالإِعَادَةِ ، وَمَعَ اعْتِرَافِي بِالْعَجْزِ ، جَعَلَنِي وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ التَّغَاضِي . إِذْ مَا مِنْ أَحَدٍ غَيْرِ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ يَسْلَمُ . مِنْ صَالِحِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمَسْؤُولُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِكُلِّ عَمَلٍ جَمِيلٍ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

قال أبو تمام : (فَإِنْ يَكُ ذَنْبٌ عَنَّ أو تَكُ هَفْوَة ... عَلَى خَطَأ مِنِّي فَعُذْرِي عَلَى عَمْدِ)

ولوْ غشِيَني نورُ التّوفيقِ . ونظرْتُ لنفْسي نظرَ الشّفيقِ . لسَترْتُ عَواري الذي لمْ يزَلْ مسْتورًا . ولكِنْ كانَ ذلِكَ في الكِتابِ مسْطورًا . وأنا أستَغْفِرُ اللهَ تعالَى ممّا أودَعْتُه منْ أباطيلِ اللّغْوِ . وأضاليلِ اللّهْوِ . وأسترْشِدُهُ الى ما يعْصِمُ منَ السّهْوِ . ويحْظي بالعَفْوِ . إنهُ هوَ أهلُ التّقْوى وأهلُ المَغفِرَةِ . ووليُّ الخيْراتِ في الدُنْيا والآخِرَةِ هذا ولا أدَّعي أني أتيت بما لم تستطعه الأوائل ، كما أنني لا أدَّعي لعملي هذا العصمة أو الكمال ، فهذا شأن الرسل والأنبياء ، ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(الإسراء /٨٥)

فالعلم بحر لا شاطيء له ، قا أبو نواس :

فقلْ لمنْ يدَّعِي فِي العِلْمِ فَلْسَفَةً ... حَفِظْتَ شَيئًا ، وغابَتْ عنك أشياءُ

يقول الثعالبي : لا يكتب أحد كتابًا فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غيرها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة ، فكيف في سنين معدودة ؟

قال معمر : (لو عرض الكتاب مائة مرة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط . أو قال : خطأ) . وعن المزني تلميذ الشافعي : (لو عرض كتاب سبعين مرة ، لوجد فيه خطأ ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحًا غير كتابه)

ويقول المزني : (قرأت كتاب (الرسالة) على الإمام الشافعي ثمانين مرة ، فما من مرة إلا كان يقف على خطأ ، فقال الشافعي : هيه – أي حسبك واكْفُفْ – أَبَى الله أن يكون كتاب صحيحًا غير كتابه) .

ورحم الله ابن العماد الأصبهاني إذ يقول – والصواب أن هذا الكلام للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الملقب بأستاذ البلغاء من رسالة له بعث بها إلى العماد الأصفهاني يعتذر إليه من كلام استدركه عليه – :

" إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومه ، إلا قال في غده لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن ، ولو زِيدَ كذا لكان يستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر " .

فأرجو مسامحة ناظريه فهم أهلوها ، وأؤمل جميلهم فهم أحسن الناس وجوها .

قال الشاعر :

أَسِيْرُ خَلْفَ رُكَّاب الْنُّجُبِ ذَا عَرَجٍ ... مُؤَمِلاً كَشْفَ مَا لَقِيْتُ مِنْ عِوَجِ

فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مَنْ بَعْدِ مَا سَبَقُوا ... فَكَمْ لِرَبِ الْوَرَى فِي ذَاكَ مِنْ فَرَجِ

وَإِنْ بَقِيْتُ بِظَهْرِ الأَرْضِ مُنْقَطِعًا ... فَمَا عَلَى عَرَجٍ فِي ذَاكَ مِنْ حَرَجِ

قال أبو نواس :

منحتكُم يا أهلَ مصرَ نصيحتِي ... ألا فخُذُوا من ناصحٍ بنصيبِ

فلا تَثِبُوا وثْبَ السّفاهِ فتركبوا ... علَى ظهرِ صعبِ الرَّأسِ غير رَكوبِ

فإنْ يكُ باقِي إفكِ فرعونَ فيكُم ... فإنَّ عَصَا موسَى بكفِّ خَصيبِ

اللهم إنا نشهد أنك واحد فرد صمد ، وأن محمدًا عبدك ورسولك – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وأن الرسل حق ، وأنهم بلغوا الرسالة ، وأن الموت حق ، والقبر حق ، والميزان حق ، والصراط حق ، والجنة حق والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث مَنْ في القبور .

اللهم توفَّنا مسلمين تائبين ، لا مُغَيِّرين ولا مُبَدِّلين آمين يا رب العالمين ،

ولقد ختمت بذا الختام بحثي .... وعلى الإله توكلي وثنــــائي

إن كان توفيق فمن رب الورى .... والعجز للشيطان والأهـــواءِ

في حينها أدعو الذي بدعائه .... يمحو الخطا ويزيد في النعماءِ

سبحانك اللهم ثم بحمدكا .... أستغفرك وأتوب مــن أخطائي

هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا الجهد ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأستغفر الله العظيم من كل ذنب وخطيئة ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وقد فرغت من جمع وترتيب هذا الكتاب يوم الجمعة الموافق للثالث عشر من ذي الحجة – ثالث أيام عيد الأضحى – لعام أربعة وثلاثين وأربعمِائة وألف لهجرة الخليل المصطفى – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، الموافق للثامن عشر من شهر أكتوبر لعام ثلاثة عشر وألفين للميلاد ١٣ / ١٢ / ١٤٣٤ – ١٨ / ١٠ / ٢٠١٣ .

كتبه خَجِلًا وجِلًا / أبو حمزة عماد الدين بن أبو النجا

بورسعيد – جمهورية مصر العربية .

استنصاح

قَالَ رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ " . وذكر منها " وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ " (م / ٢١٦٢) .

فأهيب بإخواني أن يبادروا بالاستجابة لأمر رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأن يقدموا لي النصيحة ، وكذلك استرشادًا بقول رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ " (م / ٥٥) ، فأنا أطلب من إخواني النصيحة بما يرونه أنفع وأفضل لإخراج هذا العمل في أفضل صورة و هو كتاب :

(الثلاثة الأصول في سؤال وجواب)

وأخيرًا : أسألكم بالله ألا تبخلوا علي بأي نقدٍ بنَّاء أو اقتراح أو توجيه أو نصيحة فالمؤمن مرآة أخيه والمؤمنون نَصَحَة والمنافقون غَشَشَة .

وجزاكم الله خيرًا .

للتواصل : موقع التواصل الاجتماعي
صفحة /عماد أبو النجا
محمول : ٠١١١١٦٤٣٦٦٦
01116781666

صحيفة الكتاب

الأصل الأول

الأصل الثاني

الأصل الثالث